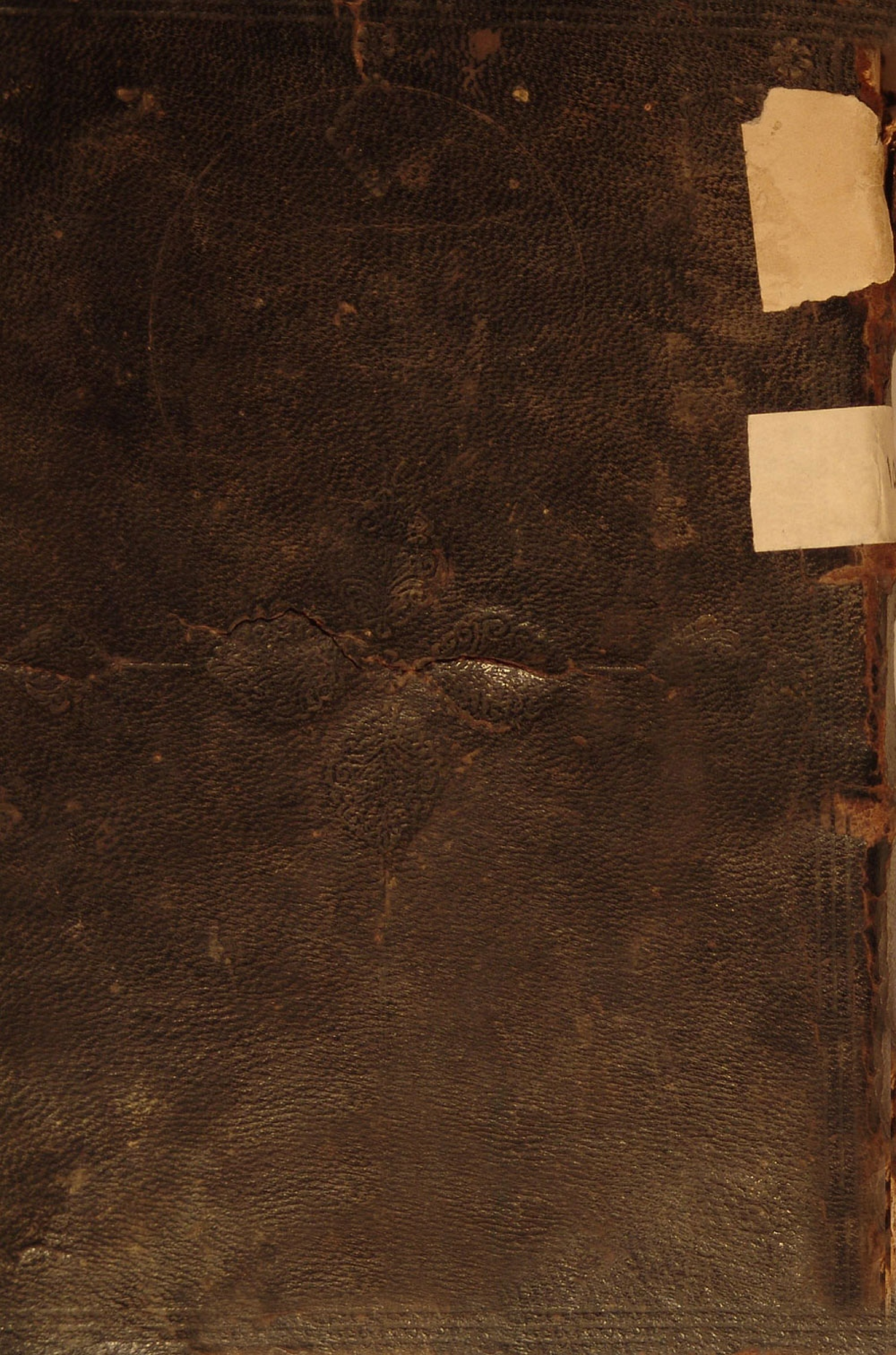




شماره
ششصد و نود و شش
استادی

كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع

تأليف الامام العلامة
عبد الله محمد
بن محمد بن
ظفر

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال ابو [illegible] الله الفقير اليه الغني به محمد بن محمد بن محمد [illegible] عفى الله عنه
ان [illegible] شكر الله سبحانه لاسني الملابس الفاخره • وان حمده [illegible]
والاخره الحمد لله جاعل الصبر للنجاح ضمينا • والمحبوب في المكروه مبينا
الذي ضرب دون اسرار الاقدار حجابا مستورا • وقضي ان الخير على الفطر
بحرا محجورا • واوطا المستسلمين لمشياته مهدا وثيرا وقال سبحانه
وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وصلى الله علي المرسل شاهدا
ومبشرا ونذيرا • وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا • سيدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا • وبعد فان مما افضي بي الزمان واضطراب [illegible]
وانتياب الاكتياب ان ظفرني الله وله الحمد بمواخاة • بمقيل عثرات السادة

السا

السرات . ومنيل نفس الحسرة حسرات . وليد كساده . وقايد العاده . ابي عبد الله
محمد بن ابي القاسم بن علي بن علوي الورتشي . بارك الله له فيما الهمه
كسبه . وكان وليه وحسبه . ولقد ازلت الدنيا بدرك منزلها . ولو شنف
بترك منزلها فحصل للبقا لا للفنا . وجمع للجود لا للاقتنا . وجاد بها لا للثنا
مواخا للتقا ومعاون على البر والتقوى . لا للمتهافت في هوى الهوى . ودلف
للرياسة بنفس لا تضيق بنازلة ذرعا . ولا تصغى الى الوشاه سمعا .
ولا تدنس بطمع طبعا . وبحلم لا يرفع الغضب لديه راسا . وكرم لا يخاف
الاقلال معه باسا . فالحمد لله الذي اباحني من احسانه حمى منيعا شعر

فنحن نورده فيما اشتهينا	واجبنا وما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا	بدخير ادناه يقينا
نميل على جوانبه كانا	اذا ملنا نميل على ابينا

فاقسم لولا ان الشكر عقد شرعي . وحق مرعي . لا قرت عينه بطي ما نشرته .
وكتوريه عما اليه اشرت . اذ كان وقاني الله نعمه . ولا ابتاني بعدمه . يرى
ان الشكر في وجوه الايه نعوب . والمدح من خواص اوليايه ذنوب . فلا
زالت يد التوفيق له ناصح . وخطا النوايب عنه قاصح . ومكانه
العلا به فارح . ومكايد الاعداء له داحض . امين وصلى الله على محمد المصطفى
الامين . وعلى اله وصحبه الكرمين وسلم عليه وعليهم في العالمين ولما
كانت الهدايا تزرع الحب وتضاعفه وتقصد كشكر وتساعفه احببت
ان اهدي اليه هديه فايقه رايقه . تكون عنده نافقه وبقدره لايقه . فلم

اجد ذلك لا العلم الذي شغفته حبا والحكمة التي لم يزل بها صبا والادب الذي
استوعبه مولودا ومكتسبا واستمره حلبا وقلبا فالحمته باسليب الغايه في احكام
الايه وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا يفضي بسالكها الي كعلم الظاهر و
المستبطن من قوله تعالي سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الي الصلاه
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الي المرافق الايه ثم شفعته بالمسمي المقومه والاشراف
وهو كتاب استوعبت به مسايل ذينك التاليفين الشريفين مستوعبا بحث
براهينها ثم عززتهما بدرر الغرب وهو كتاب انتظمت به درر ابنا نجبا الادبا
فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن ادبه ثم ربعت كتابي هذا
وهو كتاب عمدت فيه الي امثله اساس خواص الملوك نضاعتها ونعتهم
الغيره عليها من اذاعتها فتوسعت في التعبير بالفاظي عنها والتخبير بفلجي
لهاد المعني بقوي فضيلتي فيها توسعا لا يخطي شرع ولا ينبو عنه
سمع حتي اذا عادت اهلها بدورا رآيقه واضحت روضتها غيضة يا نعة
تفتت في صورها ارواح الاخلاق الزكية وكسوت جسومها حلل الادب
الملوكية وتوجت راسها بتيجان الهمم البهية وقلدت عواتقها بسيوف المكايد
الحربيه وصدرتها باي من تنزيل الحكيم واحاديث عن المصطفى صلعم
الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها والجار الادب وعيون مجونها
فبرزت روضة للقلوب والاسماع ورياضة للعقول والطباع وسميتها
سلوان المطاع في عدوان الاتباع والسلوان جمع سلوانه وهي خرزه تزعم
العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلى قال الراجز لو اشرب

لو اشرب السلوان ما سليت	ما بي غنى عنكم وان غنيت

السلوانه الاولى في التفويض وهي خمس سلوانات السلوانه الثانيه في التاسي السلوانه الثالثه في الصبر السلوانه الرابعه في الرضى السلوانه الخامسه في الزهد وانا ارغب الى الله في الامداد بالسداد والارشاد الى نفع العباد . فبه الحول والمنه وله الطول والمنه

السلوانه الاولى في التفويض قال ربنا تقدس اسمه وعسى ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال تقدس اسمه وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاستوقف من غفل امره عن الاقتراح عليه وافهمهم ما يرضاه من التفويض اليه فالعاقل من ترك الاقتراح على العالم بالاصلاح ووجه افهام الندب الى التفويض من هاتين الايتين . انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي التبصير ان لا يامن المضره بالمسره ولا ياس من المسره بالمضره فيستخير الله سبحانه ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستحق من الله صرف البلا واللطف في مكروه القضا وبهذا عامل الله سبحانه مومن ال فرعون حين فوض امره الى الله وذلك فيما بلغنا انه كان من ذوي قرابة فرعون وخاصة اصحابه وكان وزرا فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعطفته على ذلك القرابه ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يدي موسى عليه السلام بحضرة فرعون جمع فرعون بطانته

ووزراه وفيهم ذلك المومن فشاورهم في امر موسي عم فاتفقوا على ان الراي
مطاولة موسي عم وجمع السحرة لمقاومته وكان راي فرعون معاجلة موسي
بالقتل وبذلك اخبر ربنا تقدس اسمه **فقال** ارجيه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم **وقال عز وجل** وقال فرعون
ذروني اقتل موسي الاية ولما اطلع وزرا فرعون على رايه في موسي عم
امسكوا عن مراجعة فرعون هيبة له واشفق ذلك المومن ان يبطش
فرعون بموسي عم وضاق بسره صدره **فقال** ما اخبر الله به
عنه. اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله. وقد جاكم بالبينات من ربكم
ثم كانه استقال وراجع التقية. والحذر والتوريه **فقال** ما اخبر الله به
عنه وان يك كاذباً فعليه كذبه وان يك صادقاً يصيبكم بعض الذي
يعدكم **فلما** سمع فرعون مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته
ووزراه في امره فاشاروا بان يبسط العذاب عليه ثم يقتله ليرتدع
من كان على مثل رايه فكره فرعون ذلك وعطفته القرابة القرابة
وامر وزراه بان يصيروا اليه اي الي ذلك المومن فيعظوه وينصحوه
ويامروه بمراجعة ماكان عليه من الطاعة ويخوفونه عاقبة خلافه
ففعلوا ذلك **فلما** سمع المومن مقالتهم دعاهم الي الله واذكرهم
ماعاينوه من الايات وحذرهم زوال نعمة الله عنهم وطول نكيره
بهم **وكان** منه معنى ما اخبر الله عز وجل. به عنه في قوله
ياقوم اني اخاف عليكم يوم التناد الاية وقوله ولقد جاكم يوسف

من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به الآية وقوله يا قوم ما لي ادعوكم
الى النجاة وتدعونني الى النار الحقولة فستذكرون ما اقول لكم وافوض
امري الى الله ان الله بصير بالعباد فعادوا القوم الى فرعون فاخبروا عن المومن
بنبوته عن المشاققة والمنابذة والمعصية الى فرعون وان النصح لم يزده
الا تماديا على امره فساءه ذلك وشق عليه وخلا بنفسه مفكرا في امره فاتته
ابنته فسألته عن امره فاطلعها عليه فقالت له ان عندي الفرج مما انت
فيه فلا تعجل على خاصتك وذي قرابتك فانه على ما تحب ولكنه لما راى
موسى انه قد امتنع بالسلطان الذي فيه عصاه وان قتله جهارا غير
ممكن تظاهر بالحرمة عليه ليخدع بذلك موسى ويتمكن منه مداخلة وقتله
غيلة فلما رايت وسمعت مكرا بموسى وما منعته ان يطلع ذلك على
ذلك. حيث ذهبوا اليه الا انهم اهل غيه وحسد وبغي لم يطلعوا على
مثل وفاته ونصحه فسر فرعون بمقالتها والقى الله في نفسه تصديقها
فيقال ان اسية امراة فرعون هي التي امرتها بذلك واحضر فرعون ذلك
المومن واعتذر اليه واكرمه فقال له قد علمت ما انت فاجد عليه وتابع
فيه فقل ما بدا لك ان تقوله وافعل ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك
بعد هذا اليوم ابدا قال الله عز وجل فوقاه الله سيئات ما مكروا فهذا كوقايه
تمم ذلك التفويض ثم قال ربنا تقدس اسمه وحاق بال فرعون سوء
العذاب اي حاق بهم ما ارادوه من التعذيب وان كان عذاب الدنيا
لا يجتمع مع عذاب الاخرة الا في التسمية وهذا كقوله سبحانه ولا يحيق المكر

المبني الا باهله واعلم رحمك الله واياي ان التفويض حقيقته انما هي
التسليم لاحكام الحكيم وهو الذي دل عليه مصطفاه محمد صلعم بقوله قل لن
يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلي الله فليتوكل المومنين فاس التفويض
والباعث عليه انما هو اعتقاده انه لا يكون من الخير والشر الا ما اراد الله كونه
ولا يصح كتفويض ممن لا يعتقد ذلك ويتدين وقد بالغ النبي صلعم في
التصريح به والنص عليه بقوله لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ليقل همك
ما قدر الله ياتيك وما لم يقدر الله لم ياتيك واعلم ان الخلق لو جهدوا
بشي ان ينفعوك لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك ولو
جهدوا ان يضروك بشي لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك
فقوله صلعم ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر الي اخر الحديث بيان للعلة
التي من اجلها فوض العقلاء وسلموا الي الله عز وجل ونحو ذلك ما روينا ه
في مسند مسلم ان النبي صلعم قال لابي هريرة في كلام قاله له وان اصابك
شي فلا تقل لو فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شا فعل
فان لو تفتح عمل الشيطان فدله علي كتفويض الي الله والتسليم لامره
ونهاه عن كلمة لو لما كانت تنافي التفويض الي الله وتقتضي الاعتراض على قدره
والتعاطي لدافع مشيته وجا روينه في صحيح مسلم عن البرا ابن عاذب ان
النبي صلعم قال اذا اخذت مضجعك للنوم توضي وضوك للصلاه
ثم اضطجع علي شقك الايمن وقل اللهم اسلمت وجهي اليك وفوضت امري
اليك والجات ظهري اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك

امري

امنت جنابك الذي ازلت وبنيك الذي ارسلت الحديث اسجاع وابيات حكميه في التفويض معارضة العليل طبيبه توجب تعذيبه انما الكيس الماهر واستسلم لقضا القاهر اذا كانت مغالبة القدر مستحيلة فمن اعوانه الحيلة اذا التبست المصادر ففوض الى القادر ان من الدلاله على ان الانسان مصرف مقلوب ومدبر مربوب ان يتبلد رايه في بعض الخطوب ويعمي عليه الصواب المطلوب فاذا كان ذلك فان تدميره في تدبيره واغتياله في احتياله وهلكته في حركته قيل كان الحجاج بن يوسف اذا تعارضت الارا في خطب من الخطوب انشد وقال

دعها سماويه تجري على قدر	لا تفسدنها براي منك منكوس

وفي ذلك المعنى قلت ابياتا بها يستغنى

اياك تقول في المشكلات	على ما راه وما دبره
اذا اشكل الامر فاترك به	الى من يري منه ما لم تره
فكم بين عطفيك من خافيات	ولطف يهون ما قدره
اذا كنت تجهل عقبي الامور	وما لك حول ولا مقدره
فكم ذا العنا وعلى م الاسى	وفيما الحذار وفيما الشره

واردفتها بابيات لطيفة حلوة المعاني شريفه

يا رب مقتبط ومغبوط	براي فيه هلكه
ومنافس في ملكه	يشقيه في الدارين ملكه
علم العوارف وضعها	ستر وليس يرام هتكه

فلن امر الحض اليقين	تفويضه توحيد ربه	

من روضة وايقة ورياضة فائقة

قيل لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك انه قد اودع عليه كصدور وشرود عنه
القلوب واستحاش اليمن ساعيا في هلاكه استوحش من بطانته واحتجب عن
سماره فدعي في عشية من عشاياه خادما له وقال له انطلق متنكرا وقف ببعض الطرق
وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيئة والملبس يمشي مشيا هونا وهو
مطرق فسلم عليه وقل له في اذنه ان امير المومنين يدعوك فان اسرع الاجابة
فاتيني به وان تلكا ارعارضا واسترابت ندعه واطلب غيره حتي تاتيني برجل
علي الشرط الذي ذكرته لك فانطلق الخادم واتاه برجل علي الشرط فلما دخل
الكهل علي الوليد بن يزيد حياه بتحية الملوك وقام فامره الوليد بالدنو
والجلوس وامهله الي ان ذهبت منه روعته وسكن جاشه ثم اقبل عليه. فقال
له اتحسن مسامرة الملوك والخلفا. فقال نعم احسنها يا امير المومنين. فقال
له الوليد ان كنت تحسن المسامرة فاخبرنا ما هي. فقال الكهل يا امير المومنين ان
المسامرة اخبار لمنصت وانصات لمخبر ومفاوضة فيما يليق ويجب. فقال له
الوليد احسنت ايها الرجل لا نزيدك امتحانا فقل ننصت لقولك. فقال
الكهل يا امير المومنين ان المسامرة صنفان لا ثالث لهما. احدهما اخبار بما
يوافق خبرا مسموعا والثاني اخبار بما يوافق غرضا مقترحا واني لم اسمع
بحضرة امير المومنين حديثا فاحذو حذوه ولا اقترح امير المومنين علي
سلوك طريقة فانحو نحوها والتزم اسلوبها فقال له الوليد صدقت وها نحن

نحنه

نقترح عليك ونرسم لك رسما لتلتزم السلوك ولتغنينا برايك ايها الشيخ بلغنا
ان رجلا من رعيتنا يسعا فيما يضيم ملكنا فاتر سعيه وشق ذلك علينا
وبلغ منا وهو ذو قرابة فهل نما ذلك الي علمك فقال الكهل نعم فقال
له الوليد قل ما انت قايل واسلك طريق الادب ما نمي اليك منه وعلي
صوب ما ترضي من التدبير فيه فقال الكهل يا امير المومنين انه
بلغني ان امير المومنين جدك عبد الملك بن مروان لما ندب الناس
لقتال عبد الله بن الزبير وخرج بهم متوجها نحو مكه حرسها الله
استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمر يا امير المومنين
قد انطوي علي دغل نيته وفساد طويته وطماعته في نيل الخلافه
وكان امير المومنين عبد الملك ابن مروان قد فطن لذلك الا انه يبقي عليه لنا كيد
حرمته واتصال رحمه اليه فلما انفصل امير المومنين عن دمشق وسار عنها اياما واستمر
به السير عارض عمر بن سعيد فاستاذن امير المومنين عبد الملك في العود الي دمشق
لاجل التداوي فاذن له فلما دخل عمرو بن سعيد بها صعد المنبر وخطب الناس خطبة
ذكر فيها بعزل الخليفه ودعي الناس الي خلعه فاجابوه الي ذلك وبايعوه فاستولى علي دمشق
وحصن سورها وحما عورتها وسد ثغورها وبذل الرغايب فبلغ ذلك
عبد الملك بن مروان وهو متوجه الى ابن الزبير وبلغه ايضا مع ذلك
ان والى حمص قد نزع يده من طاعته وان اهل الثغور تشوفوا
للخلاف فجزع على وزرايه وبينا هو يضرب اخماسه فاطلعهم
على ذلك وقال لهم هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها عمر

بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير قد استولى على الحجاز والعراق ومصر واليمن
وخراسان وهذا النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير
قنسرين وناتل بن قيس امير فلسطين قد نزعوا ايديهم من الطاعة وبايعوا
كالناس لابن الزبير وقد تشوف اهل الثغور للخلاف وهذه المضرية
سيوفها على عواتقها تطالبنا بقتل المرج فلما سمع وزراه ذلك ذهلت عقولهم
وعلموا ان لا مقر ولا مفر فنكسوا روسهم ولم ينطقوا فقال عبد الملك ما لكم
لا تنطقون اجهزوني غناكم فهذا وقت الحاجه قال كبيرهم وهو اعلمهم واى غنا
عندنا في هذا وددت والله اني كنت حربا على عود من اشجار تهامه حتى تنقضي هذه الفتنة
قال محمد عفى الله عنه الحربا دابه صغيره طولها اقل من شبر لها قوايم اربع
وراس يشبه راس العجل لها لسان طويل كمثل الشوك تلتقط به الذباب
الذي على الارض وهي من اعلى الشجره اذا طلعت الشمس عليها قامت
على عود او جرثومة او حجر ثم استقبلت الشمس بعينها وجعلت
تراعيها ولا تصرف بصرها عنها . حتى تستوي الشمس في اعلا فلكها
قالت فتصير على راس الحربا فلا تستطيع النظر الى الشمس فتتملق
وتتململ وتضطرب بلسانها حنكها كما يفعل من يشنق الحمار فلم تزل كذلك
حتى تزول الشمس فتستدير الحربا ببصرها وتراعيها كذلك حتى تغيب
الشمس . فاذا غربت ذهبت الحربا تبغي ما تاكله ليلتها كلها حتى اذا
طلعت عادة لفعلها فتمنى هذا الرجل ان يكون حربا فرارا من تلك الفتنة
فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم ان لا غنى عنه وزرايه فقام

عنهم وامرهم بلزوم مواضعهم وركب منفردا من فوره وامر جماعة من شجعان
اصحابه وحرسانه ان يركبوا في السلاح ويتبعوه متباعدين عنه بحيث
يرون اشارته ان اشار اليهم ففعلوا ذلك وسار عبد الملك وتبعه
القوم على ما رسم لهم فلم يزل سايرا حتى انتهى الى شيخ كبير السن ضعيف
الجسم سي الحال وهو يجمع في ورق السماق فسلم عليه عبد الملك
وحدثه بحديث خفيف ثم قال ايها الشيخ الك علم بنزول هذا الجيش
فقال الشيخ بلغني انهم نزول بموضع كذا فقال عبد الملك له هل سمعت
شيا مما يقول الناس في امره قال الشيخ ما سوالك عنه قال عبد الملك
اني اردت اللحوق به والدخول في اصحابه والنهوض للحظوة عنده قال
الشيخ ما مضى الى اراك اديبا وصيا وحسبك حسبا سريا فهل تحب ان
انصح لك فيما انت قاصده فقال عبد الملك ما احوجني الى ما تقول فقال
الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف نفسك عما نزعت اليه فان الامير الذي انت قاصده
قد تخلت عري ملكه ونابذه اتباعه. واضطربت اموره. وان السلطان في حال
اضطراب اموره. كالبحر في حال هيجانه لا يقرب فقال عبد الملك ايها الشيخ ان
الحنكة لم تبلغ بي في مغالبة نفسي في كلما نزعت اليه اني اجرها تنزع الى صحبة
هذا الامير تزاعا شديدا ولابد لي من ذلك. فهل لك ان تحسن الي فتخبرني
بما تراه من الراي لهذا الامير في تدبير هذا الخطب الذي دهمه لاعرض عليه ذلك
الراي وانفق به عنده فلعله يكون سببا لتقريبي منه فقال الشيخ ان حكمة الله وعزته
ليقضيان بعجب العقول والاراء عن الامور النفوذ في بعض النوازل واني لاظن ان

هذه النازلة التي نزلت بهذا الخليفة من النوازل التي لا تستقل فيها العقول. ولا يهتدي
في صواب تدبيرها الراي واني لاكره ارد مسيلتك بالخيبة فها انا اقول فيما سالتني
عنه قولاً اقضي به حق رغبتك. وان كنت لا اثق بنفسي فيه لان الخطب عظيم جداً
والخطا فيه ايضا عظيم فقال عبد الملك قل جزاك الله خيراً فاني لارجو ان يسدد
الله رايك ويرشدك ويرشدني بك الى الفلاح فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج لمحاربة
عدوه فظهر من مشية الله سبحانه انه لا يريد قصده لمحاربته لابن الزبير اي ما قصده
والدليل على ذلك انه قطعه عن القادي بما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن
سعيد على منبره واستفساده لرعيته واستيلائه على بيوت امواله وسريرخلافته
واني مشير عليك. بتفقد حال الامير وانتظار ما يكون منه فان رايته قد تمادي
فيما خرج له واصر عليه اي قصد بن الزبير فاعلم انه مخذول فاجتنبه وانما كان
مخذولا لان الله سبحانه قد ظهر من حكمته امراً يقطعه عن التمادي لما خرج اليه
فابي الا الجاجا وان رايته قد رجع من حيث جاء وترك ما كان قصد له فارج
له السلامة لانه مستقبل راجع والله عز وجل اهل ان يقبل من استقبله
ويرحم من رجع اليه فقال له عبد الملك يا شيخ وهل رجوعه الى دمشق الا
كمسيره الى ابن الزبير اذ كان قد ظهر من حكم الله ومشيته ان قبض عنه
قلوب رعيته الذين بدمشق عن موالاته وبسط ايديهم بالبيعة لغيره كمسيره
الى ابن الزبير كرجوعه الى عمرو بن سعيد لان كل واحد منهما حاصل على
مملكة منيعة ورعية مطيعة فقال له الشيخ ان الذي اشكل عليه لواضح
بين وها انا ازيل اللبس عنك ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير

اعلام بحاري [illegible]

وكان في صورة ظالم لان ابن الزبير لم يعطه طاعة ابدا ولا وثب له على
مملكه وهو اذا قصده عمر بن سعيد كان في صورة مظلوم لان عمر بن سعيد
نكث بيعته وخان امانته وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار
مملكته التي لم تكن له ولا لابيه بل كانت لعبد الملك ولابيه من قبله وعمر
بن سعيد متعدٍ عليها ولها غاصب وانه كان بتلك سمين الغصب مهزول
والى الغدر معذول وكان بعد جيش العدوان مغلول وعرش الطغيان
مثلول وساضرب لك مثلا تنتبه له الفطن والالباب ويسفر عن وجه الصواب
زعموا ان ثعلبا كان يدعى ظالما وكان له جحر ياوي اليه وكان ذلك
مغتبطا به لا يبغي عنه حولا فخرج عنه يوما يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد
فيه حيه فانتظر خروجها عنه فلم تخرج وقد علم انها قد وطنته وذلك
ان الحيه لا تتخذ جحرا الا استوطنته وتدخل الجحر فتغتصبها وتطرد عنها
من كان فيها من الحيوان قال الراجز يصف رجلا بالظلم

وانت كالافعى التي لا تحتفر	ثم تجي سادرة فتنجحر

فهذا ظلمها ولما راى ظالم ان الحيه قد وطنت جحره ولم يمكنه الكون معها
ذهب يطلب لنفسه ماوى فانتهى به المسير والطواف الى جحر حسن
الظاهر حصين الموضع في ارض خصبة ذات اشجار ملتفة وماء
معين فاعجبه ذلك وسال عنه فاخبر ان ذلك الجحر لثعلب يدعى
مفوضا وانه وارثه عن ابيه فناداه ظالم فخرج اليه ورحب به وادخله
الجحر وساله عما قصد له فقص عليه خبره وشكا اليه ما ناله فرق له

مفوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الحمد ان لا تقصر عن عدوك عن مطالبة عدوك .
وان تستفرغ جهدك في ابتغا دفعه وهكذا وانه كان يقال من تهيب عدوه فقد
جهز الي نفسه جيشاً وكان يقال رب حيلة انفع من قبيلة . وكان يقال الموت
في طلب كثار خير من الحيلة في كماد . وكان يقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا
تقدمن عليه حتي تعلم ضعفه عنك . واذا طالبته بالمكيدة فلا يعظمن امره عندك .
وان كان عظيماً والراي عندي ان تنطلق معي الي مهاواك كذي تنتزعه منك غصباً
حتي اطلع عليه فلعلي اهتدي الي وجه مكيدة في تمكينك منه . فان افضل الراي .
ما اسس علي حقيقة ولهذا قيل يفسد الراي والتدبير ثلاثة اسباب .
احدها ان يكثر الشركا فيه فاذا كان ذلك انتشر الراي وبطل التدبير . الثاني
ان يكون الشركا في التدبير متحاسدين متنافسين فيدخله الهوي والبغي فيفسد
الثالث ان يملك التدبير من غاب عن الامر المدبر دون من باشره وشاهده .
فاذا كان كذلك دخله حقد المباشر الحاضر وفوت الغرض . ثم ان التدبير اي تدبير
المسموعات مؤسس علي ظنون الخبر وتدبير المبصرات مؤسس علي يقين النظر
فانطلقا معاً الي ذلك الحجر فتامله مفوض وعلم ما اراده من امره . ثم اقبل علي ظالم
فقال له قد شاهدت في امر مسكنك ما فتح لي فيه باب المكيدة وسفر لي عن وجه
الراي فيه فقال ظالم الملقي علي ما ظهر لك فقال مفوض ان اضعف الراي
ما سنح في البديهة . وانه كان يقال افضل الراي ما جادت الفكرة نقده واحكمت
الروية عقده وكان يقال الراي مراة العقل فمن اردت ان تري صورة عقله
فاستشره . وكان يقال الراي سيف العقل ولما كانت امضي السيوف ما

في .

بو ليغ في ادهاف حدع وجيد عقله كان انجح الاراء ما اكثر امتحانه واطيل تامله وكان
يقال كل راي لم تتمخض به الفكره ليلة كاملة فهو مولود لغير تمام ثم قال له انطلق
معي فبت عندي الليلة عندي لانظر ليلتي هذه ما تسنح لي من المكيده فنفعل
وبات مفوض مفكراً في ذلك وجعل ظالم يتامل مسكن مفوض فراى من سعته
وطيب تربته وحصانته وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه به وحرصه فجعل يدبر
الحيلة في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقال اللئيم كالنار اكرامها اضرامها وكالحية
حبيبها سليبها وبليمها صريعها. وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعا لم يملك
الانسان له دفعا وكان يقال العاقل يقدم التجربة على التقربة والاختبار
على الاختيار والثقة على المقة فلما اصبحا قال مفوض اني رايت ذلك الجحرة
بموضع بعيد من الخضرة والما فاصرف نفسك عنه وهلم اعنك على احتفار
مسكن بهذا المكان الميسر المرافق فقال له ظالم ان ذلك لا يمكنني لان لي
نفسا تهلك لبعد موطن حنينا ولا تملك مع فقد السكن سكونا وانه كان يقال
دلايل كون المرء نبيلاً بر الابا والامهات وصلة ذوي القرابات والنزاع الى الوطن
والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب واللبس لاخلاق الثياب والصبر
على هرم الدواب وكان يقال الغريب ميت الاحيا قد اعاده كنين اترابه عين
وقيل ان اسم الغريب حروفه مجموعة من اسماية دالة على حصول الغربة فالغين
غرور وغم وغيبة وغبن وغلة وهي حرارة الحزن وغيره وغول وهي كل مهلكة
والرا من رزء وروع وزل وهو الهلاك والبا من بلوى وبوس وبرح وهي
الداهية وبوار وهو الهلاك والها من هول وهون وهم وهلك. فلما سمع

مفوض بمقالة ظالم وما تظاهر به من رغبة في وطنه قال له اني اري ان تذهب يومنا
هذا فنحتطب حطبا ونربط منه حزمتين فاذا اقبل الليل انطلقت بعض هذه الخيام
فاخذت قبسا من نار واحتملت الحطب والقبس وصرنا بهما الي مسكنك فجعلنا الحزمتين
علي بابه واضرمنا فيهما نارا فان خرجت الحية احترقت وان لزمت الحجر الحية الجحر اهلكها
الدخان فقال ظالم نعم الراي هذا فانطلقا واحتطبا وربطا من الحطب حزمتين
بقدر ما يطيقان حمله ولما جا الليل واوقد اهل النار انطلق مفوض لياخذ
قبسا من نار فعمد ظالم الي احدي الحزمتين فازالها الي موضع فغيبها فيه ثم جر الاخري
الي باب مسكن مفوض ودخله وجذبها اليه فادخلها الباب فسد بها وقال في نفسه
ان مفوضا اذا اتي الجحر لم يمكنه الدخول اليه لحصانته ولان بابه مسدود بالحطب
سدا محكما فاكثر ما يقدر عليه ان يحاصره فاذا يئس منه ذهب
يطلب لنفسه ماوي وقد كان ظالم راي في جحر مفوض الطعمة ادخرها مفوض
لنفسه فعول علي الاقتيات منها في هذا الحصار واذهله الشره والحرص
والبغي عن فساد هذا الراي وانه متعرض لمثل ما رام مفوض ان يفعله بالحية
وكان يقال احترس من تدبيرك علي عدوك كاحتراسه من تدبيره
عليك فرب هالك بما دبر ومكر وساقط في البير التي احتفر وجريح
بالسلاح الذي شهر ثم ان مفوضا جاء بالقبس فلم يجد ظالما ولا وجد الحطب
فظن مفوض ان ظالما قد حمل الحزمتين تخفيفا عنه وانه بادر بهما تحرجه استنكافا
ان ياتي مفوض يحمل احديهما فشق ذلك عليه وظهر له من كرامة ان يترك
القبس ويبادر اليه فيلحقه ليحمل معه الحطب فالقي القبس من يده

ان لا اعمل منية بخيل فقال له عبد الملك ومن اين علمت بخلي فقال له الشيخ
كيف لا اعلم بخلك وقد رجات صلتي ومكافاتي مع القدرة علي تعجيلها فما عليك
لو وصلتني ببعض ما اري عليك من السلاح والبزه السنية. فقال له عبد الملك
اقسم بالله لقد ذهلت. ثم نزع السيف وقال اقبل مني سيفي هذا ولا تخدع عنه
فان قيمته عشرون الف درهم فقال الشيخ اني لا اقبل صلة ذاهل
فدعني وربي الذي لا يبخل ولا يذهل وهو حسبي. فلما سمع عبد الملك مقالته
علم فضله في دينه. وقال له اني عبد الملك فاعتمد بي وارفع اليّ حوايجك.
فقال له الشيخ وانا ايضا عبد الملك فهلم نرفع حوايجنا معا الي من انا وانت له
عبدان فانطلق عبد الملك وعمل براي الشيخ ناجح رايه فلما سمع الوليد بن
يزيد ما اخبره ذلك الكهل استرجح عقله واستظرف ادبه. وساله عن نفسه
فانتمي له الوليد وانتسب فلم يعرفه الوليد واستحي منه وقال ان من
جهل مثلك في رعيته لمضيع فقال الكهل يا امير المومنين ان الملوك لا تعرف
الا من انتسب وتعرف اليها ولزم ابوابها فقال الوليد كلا لا توسعنا عذرا لا نستحقه
ثم امر له بصلة معجلة وعهد اليه في ملازمة بابه عهدا. فكان يستمع من ادبه وحكمته
الي ان كان من امر الوليد ما هو مشهود. روضة رايقة ورياضة فايقة
قيل لما عزم امير المومنين محمد الامين علي اخراج عهد الخلافة عن اخيه
عبد الله المامون. والمامون اذ ذاك مقيم بخراسان كتب اليه الامين كتابا
يذكر فيه ان له حاجة الي القاية. ومفاوضة في مهم حدث. ويساله ان يستنيب
بخراسان من يضبطها ويعجل الشخوص الي بغداد. وكتب الي المامون عيونه

الذين ببغداد ان الامين يريد خلعه من عهد الخلافة. ونقل عهده الى موسى بن محمد الامين
فلما وقف المامون على ما كتب به اخوه وعيونه جميعهم اشاروا عليه بالتثبت والتعلل
والاعتذار بشعث خراسان. وتطلع من يليها من الكفار الى الفرصة فيها وانه لا
يجد من يثق به وبكفايته لامرها فكتب المامون بذلك. فعاود الامين مكاتبته
بسمحه. وانه لو قدم عليه لنقل مكنه ببغداد حتى يرجع. وانفذ بريده كي يفاوضه
في خطب جسيم. لا يودع مثله للكتب فحين انتهى كتابه الى المامون اطلع
وزراه عليه واستشارهم فاشاروا عليه بمثل رايهم الاول. فكتب الى الامين عيونه
بخراسان. بنحو ما كتب به اليه اولاً. وكتب الى المامون للامين عيونه بخراسان
ان المامون فطن لما يراد منه. وانه ممتنع فاتق. وان وزراه قد اجمعوا
على امره بالامتناع فيئس منه الامين في تمام مكيدة لاخيه. وامر بالقبض على من
ببغداد من حشم المامون وحرمه وبطانته. وما ظهر عليه من امواله. وبلغ ذلك
المامون فاثاره الجزع. وشاور وزراه فثبتوا على رايهم الاول وحضوه
على التثبت. وانتظار الفرج ففعل. ولما راى الامين امر اخيه المامون
على الامتناع دعى الناس للبيعة لابنه موسى. وهو طفل فاجابوه لذلك
وبايعوا له وسماه الناطق بالحق واستكفل على بن عيسى بن هامان لحمله
في حجره وكان على بن عيسى بن هامان قد ولى خراسان. واعتقد
المنن في الاعناق. وكان شانه بخراسان عظيماً. فاستشاره الامين في
امر خراسان فضمن له امرها. واخبره انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه اثنان
ممن بها فجهزه الامين اليها وولاه كل بلد يتغلب عليه. واعطاه الاموال الجزيلة

وجهز معه جمهور جنوده واصحابه من السلاح والكراع ما شاء وبلغ ذلك الي
الي المامون فاضطرب امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسي فركب الي
منزله لينا ظره وزراه في تدبير امره فعارضه شيخ هرم من مجوس بجوسي
فناداه بالفارسية مستغيثا من ظلم ناله فلما نظر المامون الي هرمه رق له
وامر ان يحمل علي دابة ويتبع به الي الموضع الذي قصده ويدخل عليه من غير
استيذان ولما استقر المامون ووزراه بذلك الموضع الذي قصدوا اليه
ادخل ذلك الشيخ الفارسي وامره بالجلوس في حاشية المجلس ثم اقبل
اصحابه فاخبرهم بما صنع اخوه الامين من القبض علي حاشيته وما كد و
تجهيزه علي بن عيسي وهو يظن ان الشيخ الفارسي لا يحسن اللسان العربي
وان ما به من الهرم شاغل له عن الاصغا لما هم فيه لما حمله من ذلك من
القلق والاضطراب فلما راي جمعهم ان المامون لم يتحفظ من الشيخ
تفاوضوا ما جلسوا له وطالت مناظرتهم الي ان قال احدهم الراي اصطناع
اقوام من الاعتنام لذين لا يعرفون علي بن عيسي فيلقي بهم وقال غيره
الراي ان نبادر بالارسال الي الامين بطلب الصلح وبذل الانقياد الي
امره فانه يري ذلك حظا وقال غيره الراي ان نلجا الي بعض المعاقل
ونعتصم به وننتظر فرج. وقال غيره الراي ان نجمع اهل النجدة فنفرق
علمهم ونقصد بهم الي بعض هذه الممالك المجاورة لنا من ممالك الكفار
فنصدقهم القتال لعل الله ان يظفرنا فنصير الي مملكة تاوينا ونتزع كيهما
ممن هو علي مثل راينا فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتي يقضي الله امره

وقال غيره الراي لي عندي ايها الامير ان تنحاز الى ملك الترك تستجير به مستغيثاً على اخيك الغادر القاطع. فهذا امر لم تزل الملوك تفعله. اذا دهمها مالاً قبل لها به فلما سمع المامون هذه المقالة ركن اليها وعول على هذا الراي. ثم تفكر فقال كيف اجعل للترك على حرب المسلمين سبيلاً. فقال لاصحابه قوموا عني فمضوا اجمعهم. ثم التفت فراي الشيخ الفارسي فقربه ورفق به وساله عن امره وما قصده له. على لسان ترجمان اقامه له. فقال الشيخ بلسان عربي ايها الشيخ الامير اني جيت لحاجة فعرض لي دونها ما هو اهم منها واولى بالعناية. فقال له المامون. قل ما احببت سالكاً طريق الادب. فقال الشيخ. دخلت عليك وانا غير متصف بالمحبة لك. ثم قد التقى اسه في قلبي من المحبة للامير ما ملاه. وانه كان يقال الرق ثلاثة انواع فاولها واشدها استيعابا للظاهر والباطن رق الاختراق والاختراع. وهو الرق لله صانع الاشيا ومخترعها. والثاني رق الاصطناع وهو رق المنعم عليه للمنعم والثالث رق الاتباع وهو صنفان احدها رق الحب وهو اقربها الى رق الاختراع لان له سلطاناً مبسوطاً على الظاهر والباطن. والثاني رق الرعية لراعيها ورق العبيد لساداتها. وانا اخبر الامير اعزه الله انه قد تظاهرت له عندي ثلاث قوى من الرق رق الحب رق الاصطناع رق الاتباع: فان رأى الامير اعزه الله ان يوصل وسيلتي ويصدق املي ويسعف طلبتي. و يلحقني برد اختصاصه: ويكرمني بمكاثرة اوليائه ونصحايه فان فعل ذلك متطولاً به غير محتاج اليه فان عنده ليرجو ان يصادق الصنيعة منه شاكراً

الاختصاص منه مستفقا نامحا . فقال له المامون ما دينك ايها الشيخ . قال
له مجوسي . قال فاطرق المامون راسه متفكرا فيما تكلم فيه . فقال الشيخ لا يصدن
امير المومنين حقارة قدري عنده . وانه كان يقال لا تحقرون احدا من اتباع
نائبك
تشفع عني به كاينا ما كان وهو احد رجلين . اما شريف فتتجمل به واما
وضيع فيحمي عرضك ويصون مروتك . وعلي اني لست اعني بحقارة قدري
عند الامير حقارة اخلاق ولا حقارة اعراق فاما اخلاقي فامتحانها بين
يدي الامير واما اعراقي فاني بزرجمهر من ولد كبر بهين سيد ملوك الفرس
المتوسط بينهما وبين اول الاوايل وانما اعني حقارة ديني عند الامير
وكوني في عقد ذمة وصغار جزية . فقال المامون ما يمنعك ايها الشيخ
من رغبة وان انتقلت من ذمتنا الي ملتنا الحقناك شعارا . فقال الشيخ
ان كانت نفسي الي ما دعاني اليه الامير لشديد ولكن لا افعل في مقامي
هذا ولعلي افعل فيما بعد . ثم نقال ايأذن لي امير المومنين ان اتكلم فيما
فاوض الان وزراه فيه . فقال له المامون تكلم فقال الشيخ قد سمعت
الذي اشار به وزراء الامير وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى
بشي مما ذهبوا اليه . فقال له المامون اطلعنا على رايك فقال الشيخ
ان اصل في الحكم التي ورثتها اباي عن اباهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه
ما لا قبل له به ان يخزم قلبه بتسليم لحكم قاسم الحظوظ ولا يضيع مع ذلك
نصيبه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل علي الظفر حصل علي العذر
فقال له المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لكذوب وقد سمحت نفسنا

لك من غير امتحان بالثقة. وما ذلك الا لاختيارنا اضاعة الحزم. ولكن احببنا ان نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة علي القبول. وها نحن نخبرك ان هذا المتوجد الينا يعني علي بن عيسي هو املك بالبلد منا. ثم لا يمكننا مقاومته ان اردنا ذلك. لتقدم الاموال قبلنا. فقال له الشيخ ايها الامير ينبغي ان تمحو هذا الامر من قلبك بالجملة وان لا تصغي الي من ينطق به. فانه كان يقال فاكثر من كثرة البغي. ولا نوي من قواه الظلم. ولا ملك من ملكه الغضب. وها انا اضرب لك مما قلت لك من الحكم. ان حزوف منا لها نلت منالها. فقال له المامون هات. فقال الشيخ ان الخشنوار ملك الهياطلة لما اسر فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ عليه عهدا ان لا يغزوه. ولا يقصده بمكروه ووضع في اقصي تخوم الهياطلة صخرة واحدة واخذ علي فيروز عهدا ان لا يتجاوز تلك الصخرة. ولما استوثق الخشنوار من فيروز بما اخذ عليه من العهود والمسالمة. اطلقه فحين رجع فيروز الي دار ملكه داخلته الحمية والانفة فعزم علي غزو الخشنوار. والطمع وزراه علي ذلك نحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي فما ردعه ذلك عما هم به. فاذكروه العهود التي اخذها الخشنوار عليه. فقال لهم انا حلفت له ان لا اتجاوز تلك الصخرة وانا آمر بحملها علي فيل. فتكون بين يدي جنودي لا يتجاوزها احد منهم. فلما راوا ان الهوي قد وقف به علي حد الرضي بهذا القول علموا انقياد عقله لشهوته فامسكوا عنه. واعتقدوا ان لا يراجعوه في ذلك. وكان يقال الهوي صداء يعلو العقل فلا تنطبع فيه صورة الحقايق. وكان يقال ما لم يبلغ الهوي حد

اللجاج فهو نشوة السكر. فاذا بلغ حد اللجاج فذلك زين السكر وقوة سلطانه.
وكان يقال لا ترشد تابع الهوى في حال استيلا الشهوة والغضب عليه لانها حال
استحلب عقله. وذلك ان الهوى املك النفس لتقدم سلطانه عليها فاما
سلطان العقل فطاري مستفاد. وللعقل حجابان وهما الشهوة والغضب
فلا يزال العقل ناظرا الى الهوى قاهرا له ما لم يحجبه غضب او شهوة فحينئذ
ينبسط سلطانه وينفذ حكمه. قال محمد قال الشيخ للمامون فجمع فيروز
مرازبته وهم اربعة يتبع كل مرزبة منهم خمسون الف مقاتل كان على كل
منهم ضابط الربع مرزبان مملكته بابل. وامرهم بالتجهز لحرب الهياطلة
ففعلوا وسار فيروز نحو الخشنوار يظن ان لا غالب له. وكان
الخشنوار يضعف عن مقاومة مرزبان من مرازبته. اى من مرازبة
فيروز. وانما كان ظفره بفيروز اولا بحيله ليس هذا موضع ذكرها.
وقد كان موبذان موبذ ومعنى هذا اللقب حافظ الدين وهو عند
الفرس كالنبي قال لفيروز حين راى عزمه على غزو الخشنوار
ايها الملك ان رب العالم يمهل الملوك على الجور ما لم ياخذوا فى هدم
اركان الشريعة فاذا اخذوا فى هدم ذلك لم يمهلهم وان العهود و
المواثيق ركن من اركان الشريعة فلا تتعرض له بنسو فلم يلتفت فيروز
الى هذه المقالة وركب راسه فى معصية نصحايه وكان يقال يستدل
على ادبار الملك بخمسة اشيا احدها ان يستغنى الملك بالاحداث
ومن لا خبرة له بالعواقب والثاني ان ينتقص واحد عن قدر مونته

ملكه المماثلة ان يقصدوا اهل مودته بالاذى الرابع ان يكون تقريبه وتبعيده للهوى لا للراى الخامس استهانته بناصح العقلاء وقراء ذوى الحكمة وكان يقال انما يكون قبول الصواب ورده بحسب قوة التخيل الفكرى وضعفه فمن قوى تخيل فكره فهو في سلطان الراى غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في سلطان الهوى غالبا وعلى هذا كما تكون فمن عدم الفكر في الامور التحق بالبهايم ثم قال الشيخ الفارسى وان فيروز سار قاصدا نحو الخشنوار حتى انتهى الى الصخرة التى نصبها الخشنوان علما لتخوم ارضه واستحلف فيروز ان لا يجاوزها امر فيروز بقلعها وحملها على فيل وان يكون الفيل الذى يحملها بين يدى عسكره و نهى ان يتجاوز تلك اى ذلك الفيل احد من العسكر فما ابعد عن ذلك الموضع الذى كانت فيه الصخرة حتى جاء رجل من ثقاة اصحابه فاخبره ان اسوارا عظيم القدر من اساورته اتى رجلا مسكينا ظلما وعدوانا وجاء اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز وتظلم من الاسوار قاتل اخيه فامر له فيروز بمال ليرضيه به عوضا عن دم اخيه فابى قبول المال وقال ما رضى الا دم قاتل اخى فامر فيروز بطرده فانطلق من فوره الى ذلك الاسوار الذى قتل اخاه فشد عليه بخنجر كان في يده فلما راه ذلك الاسوار حرك فرسه هاربا بين يديه وانتهى الخبر الى فيروز فتعجب من ذلك فنزل وزير من وزرا فيروز عن دابته وتقدم بين يدى دابة فيروز وسجد له

فسأله فيروز عن امره فذكر انه يريد الخلوة به في مهم عرض له . فامر فيروز فضرب له
فسطاط ونزل فيه واذن لذلك الوزير فدخل عليه وامره بذكر ما عنده فقال له ايها الملك
السعيد ملكت وعمرت عمرا بعيدا لست في مثل عزة وقوة لقد ظهرت عناية اوله الاوايل
بما ضربه لك من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا عظيما نجدا هرب بين يدي
مسكين في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وتعديه . قال فيروز انه لم يعرف منه
لعجزه عنه بل لخوفه منا وما كان ليفعل تلك الفعلة القبيحة ثم لم يتبعها بمثلها . فقال
الوزير ايها الملك رايت ان دعوته الي مبارزة ذلك المسكين وامنته من سطوتك
فظهر ذلك المسكين عليه فتعلم ان هذا مثل ضربه لك قيم العالم فقال فيروز لافعلن
ذلك ثم احضر الاسوار وامنه وامره بمبارزة ذلك المسكين الطالب بثار اخيه فاجاب
الي ذلك وجمع عليه سلاحه وركب فرسه واتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزته
فاظهر الرغبة فيها والحرص عليها لخوف من الهلاك فلم يخف وقيل له اما ترى
درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت بفروسيته ونجدته واقدامه انك تهلك
نفسك ومجيتها واد اثم عليه فيها فقال لهم المسكين دعوني واياه فانه راكب
علي فرس مغرور وانا راكب علي فرس البصيرة وهو لابس درع الشك وانا
لابس درع الثقة وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق فقال الوزير
لفيروز ايها الملك ان هذا المسكين ابلغ في الحيلة والموعظة من
الظفر به فصن اسوارك واستبق نفسك ولا تعرضه للهلكة بلقاء
هذا المسكين واعمل برضى هذا المسكين بالاحسان اليه فان لم يرضه
الا القصاص فاقض له بالعدل المالوف منك واستدم عناية الاوايل

فان

فان الاحذر بك اذا تكون عنايتك بالحق الذي يرضيه العمل به ويسخط
اجتنابه قال الوزير لابد من ان اخلي بينهما وانظر الى ما يكون منهما
ان كان المسكين يختار ذلك ويرغب فيه فاعاد واعرض مبارزة
الاسوار على المسكين فاسرع على الرغبة فيها وخوفوه الهلاك فلم
يزده تخويفهم الا جراة واقداما. فقيل للاسوار القاه ولا تحبس
عليه فحمل كل واحد منهما على الاخر فالتقيا وقبض المسكين على فرس
الاسوار فضربه الاسوار بالسيف فطاطا له المسكين فضربه المسكين
في عنقه وجذبه فصرعه ثم ضربه وهو ملقى ضربة اخرى فادخل
من الدرع حلقات في جوفه وقضا عليه فبات فيروز تلك الليلة
في موضعه مفكرا فيما ياتي ثم استقاد لهواه فتنفذ لوجهه وكان
يقال اول الهوى هين واخره هون وكان يقال الهوى كالنار
اذا استحكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل مددها
تعذر صدها وكان يقال ليس الاسير من اوثقه اعداه انما الاسير
من اوثقه هواه قهرا وارهقه ضرا وكان الشيخ ولما علم الخشنوار
قصد فيروز لحربه حمل نفسه على التثبت ووكل الاول الى الاول
والاخر وسأله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز
حقها واخذ مع ذلك حظه من الحزم فيما تقوى وجمع جنوده
واهمل حتى وطى فيروز كثيرا من ارضه وسبا على رعيته فنهض
اليه فانهزم فيروز وسلبه ما كان في يده وقتل الخشنوار جلبه

وفيهم اسود الدواعس في طلب فيروز حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة
اصحابه فكانت عاقبة له قيل فلما سمع المامون ما ضرب له الفارسي مثلا
اثنى عليه خيرا وقال له قد سمعنا مقالتك فصادفت منا قبولا لها وشكرا
عليها وسرورا بها فما زي فيما دعوناك اليه من توحيد الله الذي احتوى من العقل
حظك وفتق في المعرفة ذهنك • وانطق بالحق لسانك وقطع بحد صارم عذرك
فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمد رسول الله فسر المامون
باسلامه واجزل صلته وقرب منزلته وتوجه والحقه بخاصيته واهل مملكته
واصحابه والزمه بملازمة بابه فما لبث الا اياما قلايل وعمل برايه فانجح الله
عمله وبلغه من الخلافة امله •

السلوانة الثانيه

وهي سلوانة التاسي

انزل ربنا تقدس اسمه في السورة المذكور فيها الاحزاب ايات ومعجزات تطابق
المفصل المقصود في هذا الكتاب وهو تاسي الملوك في طغام العوام والله
ربنا المحمود على الهداية لهما والدلالة عليها قوله سبحانه في المتالبين على
خليفته محمد الداعي الى مندوبه وفرضه • ص اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون الى اخره
وقوله هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا وقوله في تردد
من ضعفت بصيرته حتى تظنون بالله الظنون • وقوله في تحرم النفاق
وحراه اهله على اظهار ما كانوا يسترونه حين راوا ان المومنين قد ابتلوا

واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وقوله تعالى في القاعدين عن نصرة الحق المخذلين من اراد نصرة قد يعلم
الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم هلم الينا الاية. وقوله تعالى فيهم
واذ قالت طايفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا. وقوله تعالى في المتسللين
لواذا ويستاذن فريق منهم النبي ويقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا. وقوله تعالى في تجار اسواق كخذ الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون
كل داع ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها الاية وقوله تعالى في
التحذير عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل الاية
والتي بعدها هي قوله سبحانه قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءًا
او اراد بكم رحمة. فهذه جملة طعام العوام ثم ان الله سبحانه دل من امتحن بها
على ما ادب رسول الله صلعم بقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ومما ادب به رسوله فذلك عزمن قايل ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ثم عرف سبحانه رسوله صلعم
فقال وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقًا في الارض
او سلمًا في السما فتاتيهم باية واعلمه ان التاسي بهم مفترض عليه بقوله فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل الاية. وقوله اوليك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فهذا امر جزم. ويروى ان رسول الله صلعم قال ان الله ادبني
فاحسن تاديبي فالتاسي بما ادب به رسوله بل بما هو افترضه عليه كما بينا
ومعنى التاسي عند الايمة ان تنظر الى اسى غيرك اي حزنه وانه مثل اساك

اي حزنك فتصبر والاسي هو الحزن ولا يعجبني هذا وهو عندي ماخوذ من قولهم
اسوت الجرح اي داويته والآسي هو الطبيب المداوي وكان معني التاسي هو
التطبب والتداوي بالصبر والاسوة اسم من هذا والتاسي تفعل من الاسوة
ولو كان ما ذهبوا اليه لكان معني التاسي الحزن تقول اسيت اي حزنت وتاسيت
اي تحزنت ٠خبر نبوي في التاسي فيما رويناه ان النبي صلعم قال انظروا الي من هو
اسفل منكم ولا تنظروا الي من هو فوقكم فانه احق ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
قال محمد عفي الله عنه ان الحديث لحسن الموقع في ما نحن فيه ولا ينبغي ان
نقضي بلفظة عن حالق افهامه وموجب عمومه انه امر لمن كان في نعمة دقيقة
بان ينظر الي من هو في نعمة ادون منها وامر لمن كان في بلاء ان ينظر الى من كان في بلاء
اشد من بلايه وانه دونه واسفل منه في حظ المعافاة المطلوبة وهذا
المخفوض عنه حظه او هو واعلى فذو النعمة منعم عليه ومحسن فيما يفوق
ما انعم به علي غيره وذو البلاء منعم بنقص بلائه عن بلاء غيره ومما فاته من
الابتلا بتلك الزياده التي ابتلي بها غيره وانما كان هذا الخبر بليغا في باب
التاسي لانه ينقل مستعظم البلاء الذي نزل به الي مستصغره باضافته الى
ما ابتلي فيه ويحضه علي شكر ما فضل به من حظ العافية التي فضل بها علي
غيره فهذه درجة اقوي من درجة التاسي المطلق لان التاسي المطلق
لا يفيد شكرا اي حظا علي شكر ولا يصور النعمة الخفية صورة النعمة وانما يتم
الصبر خاصة وبهذا الحديث يتم الصبر ثم الشكر ٠ اسجاع وابيات حكمية
في التاسي التاسي جنة البلاء وسنة النبلاء والتاسي درج الاصطبار

كما ان الجزع درج البتار . وانه ينبغي لذي البصيرة . ان يرعى النعم ويراها في صورة العواري المرتجعه . والودايع المنتزعه . فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها وجور المنعم . اذا استردها كماله . وينبغي ان لا يذهل عن حظوظ نفسه . منها ودولتهم فيها فاذا زالت عنه وصارت اليهم لم ينكر اخذهم انصباهم وتقاضيهم حظوظهم وليتاسى بصبرهم عن جوده لهما دونهم فيصبر لدولتهم الخالفة كما صبروا لدولته السالفة . وكان صدقة المتصدقين . واقراض المقرضين . وضيافة المضيفين . وما يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال وفي القوة والجاه اغا ندب اليه المواسون فيه ليمتعوا النعم باعطاء الحسن حظوظهم منها وفي الحكمية لمن تدبرها قنعان والله المستعان . انشدني بعض الملوك لنفسه في حال شدة نزلت به

نحن قد علمت بطشنا وعلماً	ولنا المجتدي الاجل الاعزا
ولنا النفس عوارف بالدهر	تتاسى الاسى ولن تستفزا

وحضرت عنده في ايام شدته فانشدني لنفسه

قربني دهري فلم يلفتني	اطمع في تاثير تقريبه
ثم نائ عني فلم يلقني	اجزع من اصناف تعذيبه

فالحمد لله على حكمه ثم قال الجزع فعلت تفوتني منه وحوبي به

وقال يومًا قد حادثته بما يبعثه على التاسي فانشدني في ذلك شعر الخنسا فانشدته للخنسا

الا يا صخر لا انساك حتى	افارق عيشتي وازور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي	على اخوانهم لقتلت نفسي

وما يكون مثل اخي ولكن	اعزي النفس عنه بالتاسي

نفاك في هذا الخلق من طيلسان بني حرب الجمع واشدني

نغيض كما يغيض الكيل جوداً	ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا	تناسينا باملاك كرام

روضة رايقة. ورياضة فايقة

قيل لما عزم سابور بن هرمز على الدخول الى بلاد الروم متنكراً متجسساً نهاه نصحاوه وحذروه التغرير بنفسه في امر يمكنه ان يستنيب فيه نصحا هـ وكان يقال اشقى الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيات من الشيوخ. وكان يقال اغا عسر صرف الاحداث عن الهوى الى رشد الراي لامرين. احدهما قوة سلطان الشهوات عليهم. الثاني ان التجارب لم ترض قواهم على مخالفة هواهم وذوو الحنكة بخلاف ذلك ثم ان سابور توجه الى بلاد الروم واستصحب وزيراً كان له ولابيه قبله. وكان شيخاً ذا دهاء وحزم وسداد راي وحنكة وبصر بالديانات. واللغات وتبحر في العلوم وخبرة بالمكايد فسلم اليه سابور جميع ما يظن به ان اليه حاجة او تدعوه اليه داعية وامره ان يتخذ عنه في قرب منه ومراعات لجميع احواله في نهاره وليله وتوجها نحو الشام فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان وتكلم بلسان الجلالقة وتعرف بصناعة الطب الجرائحي وكان معه الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراح برات واندملت في الحال قال محمد عفى الله عنه قد رايت جماعة ذكروا انهم راوا هذا الدهن المذكور وحدثني بعضهم انه امتحنه بانه شرح اللحم ودهن فالتام

كما

مكانه وكان ذلك الوزير في مسيره نحو بلاد الروم وبعد ما دخلها يداوي الجراحات
بادوية يضيفها الى ذلك الدهن فتبرا الجراحات بسرعة. واذا اعتني باحد من ذوي
الاقدار داواه من ذلك الدهن صرفا بغير امكانه ولا ياخذ على المداواه اجرا. فانتشر له
في بلاد الروم صيت بالعلم والزهد وكان يقال من غرس العلم اجتنى النباهة. ومن
غرس الزهد اجتنى العز. ومن غرس المداراه اجتنى السلامه. ومن غرس الاحسان اجتنى
المحبة. ومن غرس الوقار اجتنى المهابة. ومن غرس الكبر اجتنى المقت. ومن غرس الحرص
اجتنى الذل. ومن غرس الطمع اجتنى الخزي. ومن غرس الحسد اجتنى الكمد وكان
يقال الامم على اختلاف دياناتها وازمانها وبلدانها متفقة على حمد اخلاق اربعة العلم
والزهد والاحسان والامانة. قيل فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان
الوزير يراعي احوال سابور اشد المراعات. فلم يزالا كذلك حتى طويا جميع الشام
وتجاوزا الدروب وقصدا قسطنطينيه. فقدماها فذهب الوزير الى البطرك وتفسير
هذا الاسم ابو الاباء فاستاذن عليه فاذن له وساله عما يريد فاخبره انه هاجر
من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسه
حسن موقعها من البطرك فقربه واكرمه واحسن نزله والحقه ببطانته واختبره
فوجده لبيبا متفننا فاعجب به غاية الاعجاب وجعل الوزير يتامل اخلاق البطرك
ليصحبه بما يوافق طبعه وينفق عنده ويحسن موقعه منه وكان يقال اذا اردت
صحبة رئيس فانظر ما تستميله به وتنفق عليه من الالات فان كنت مطيقا للعمل
بها في طلب اقباله عليك وحظوتك عنده فاقدم عليه والا فرض نفسك على
ذلك حتى تعلم انها قد اطاقته واحكمته فتقدم على بصيرة قيل ولما تامل

وزير سابور اخلاق البطرك وجده مايلاً الي المفاكهات معجباً بنوادر الاخبار
فاخذ حوزير باتحافه من ذلك بكل نادرة غريبة وملحة عجيبة فلم تمض مدة
حتي حلي بعينه وقلبه وصار الصتو به من شمرات قصه وجعل مع ذلك يعالج
الجراحات ولا ياخذ علي ذلك اجرا فعظم قدره في اعين الناس ورمقته القلوب
وكان يقال اذا كانت القلوب مجبولة علي محبة المحسنين وكانت المحبة رقا
والاحرار يكرهون الاسترقاق فالحر علي الحقيقة من فدي نفسه من رق
المحسنين بمكافاتهم علي احسانهم جهده حتي اذا لم يستطع افليرق نفسه
لهم معذوراً وجعل ~~الناس اليها علي طبقاتهم~~ الوزير يتعهد احوال سابور
في كل وقت الي ان صنع قيصر وليمة وحشد كناس اليها علي طبقاتهم
وتهدد من تخلف عنها فاراد سابور حضورها ليطلع علي هيئة قيصر
وهمته في قصره وذخايره فنهاه وزيره عن التغرر بنفسه فعصاه وتزيي
بزي ظن انه يستتر بامره ودخل دار قيصر مع من حضر الوليمة وقد كان
قيصر لما بلغه ما ايد الله به سابور من لطف الفطنة وعظم الهمة وشدة
الباس في حال صباه حذره حذراً شديداً فبعث الي حضرته بمصور ماهر
فحكي حاله في مجلسه وحال ركوبه وغير ذلك من ضروب الاحوال التي
شاهدها المصور عليها وقدم بتلك الصور علي قيصر فامره قيصر ان
يصور تلك الصور علي فرشه وستوره وفي الآته واواني اكله وشربه
فصنع علي امره به ورسمه له فلما دخل سابور دار قيصر واستقر
المجلس به وبمن مع من حضر ذلك المجلس ثم اتوا بالشراب في كووس

بالشراب في

البلور والفضة والذهب والزجاج المحكم وكان في المجلس رجلاً من حكماء
اهل الروم ودهاتهم ذا فراسة صادقة فلما وقعت عينه على سابور انكره وجعل
يتامل شخصه ونظرته واشارته فراى منه مخايل الرياسة فطفق يتبعه ولم يصرف
بصره عنه فاتى ذلك المتفرس بكاس فيه صورة سابور فتامل فانطبعت في
نفسه مثالاً لذلك الشخص الذي انكره وغلب على ظنه انه سابور فامسك القدح
امساكاً طويلاً وقال رانفاً صوته ان هذه الصورة التي في هذه القدح تخبرني
خبراً عجيبا قيل له ما الذي تخبرك قال تخبرني هذه الصورة ان الذي هي
مثال له معنا في المجلس اى مجلسنا ونظر الى سابور وقد تغير حتى
سمع مقالته فحقق ما ظنه به واعاد لقوله فبلغ كلامه قيصر فادناه وسأله
فاخبره ان سابور معه في مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض على
سابور فقبض عليه وقرب من قيصر فسأله عن نفسه فتعلل بضروب من
العلل فقال ذلك المتفرس لا تقبلوا قوله فهذا سابور لا محالة فامر قيصر
بقتله ليردعه ويرعبه فاعترف لهم انه سابور وكان يقال قلوب الحكماء تستكشف
الاسرار من لمحات الابصار وطالما دلت اوايل المبصرات على اواخر المنتظرات
وقيل كما ان الابصار مرآى ينطبع فيها المشاهدات اذا سلمت من صدا الافات
فكذلك العقول مرآى ينطبع فيها بعض الخايات الغيبيات اذا سلمت من صدا
الشهوات وقيل من الادلة على مكاشفات القلوب ببعض الغيوب ان الانسان
قد يتوقع شيئا يكرهه او يحبه ثم يكون ذلك الشي الذي يتوقع على نحو ما
توقع منه فقد يرى الانسان الانسان فيحبه لغير احسان فرط منه او

او يبغضه لغيراسباب اجباها عليهم ثم يكون من الاحسان والاساءة قيل
فلما اعترف سابور بصدق ذلك المتفرس حبسه قيصر مكرما ثم امر
فعملت له من جلود البقر صورة بقرة كاعظم ما يكون من البقر وطوبقت عليها
الجلود سبع طبقات واتخذ لها باب من اعلاها فى ظهر الصورة يدخل اليها ويخرج
منه وجعل فيها كوة من اسفلها موضع المبال وامر بسابور فجومعت يداه الى
عنقه بجامعة من ذهب ذات سلسلة ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره
وادخل سابور فى جوف تلك البقرة وهذا بعد ان حشد جنوده واستعد لغزو
بلاد الفرس ووكل بتلك الصورة حتى سجن فيها سابور ماية رجل من ذوى الباس
يحملونها دولا بينهم وجعل على كل خمسة بينهم رئيسا يضبط امرهم وجعل جميع امورهم و
صرفه الى المطران ومعنى هذا اللقب صاحب البلد الا انها رياسة دينية وهو
خليفة البطرك فكانت تلك الصورة تحمل بين يدى المطران فاذا نزل العسكر
انزلت الصورة التى فيها سابور فى متوسط العسكر وضربت عليه قبة
تسترها وطاف بها خمسون من الموكلين بها ورؤساهم معهم وضربت حولها عشرة
قبات مستديرة بها وضربت للمطران قبة مجاورة قبة سابور وضربت
خارج القبة خيمة يصنع فيها طعام الموكلين بقبة سابور على حسب اقدارهم
ومراتبهم وسار قيصر محتفلا بجنوده وقد عزم على خراب بلاد الفرس
وتصفية معالم ملكها لعلمه ان لا دافع يدفعه عنهم وكان يقال الحزم التزام
مواخاة العدو ما دامت لدولته ريح اقبال كان العجز اضاعة الفرصة
فيه اذا دبرت دولته وركدت ريح اقباله وكان يقال العاقل لا يكون

فى مملكة

في مملكته ملك اجتمعت فيه خصلتان الانهماك في اللذات واضاعة الفرصة وكان يقال يميز الملوك عن السوقة انما يكون بفضيلة الذات لا بفضيلة الادوات وفضيلة ذلك الملك تعرف بخمسة خصال رحمة تشمل رعيته . ويقظة تحوطهم . وصولة تذب عنهم . ولبابة يكيد بها الاعدا . وخزانة ينتهي بها الغرض فهذه فضيلة الذات واما فضيلة الادوات اتخاذ المباني الوثيقة كعلية . والملابس الانيقة كسرية . والذخاير النفيسة والمطاعم الشهية . والمراكب البهية . وهذه فضيلة يفضل بها هذه الادوات عما هو دونها من اجناسها فيكون كعقد فضل دخيرة على غيرها من الذخاير وللطعام فضل على غيره من الاطعمة وللدابة فضل على غيرها من الدواب فلفضيلة هذه الاشيا لمالكها . فلما سار قيصر بجنوده ومعه سابور على الهيئة التي ذكرناها قال وزير سابور للبطرك ان مما اشتغلت بخدمتك والقرب منك الرغبة في صالح الاعمال وانه لا عمل انفس من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع الى مضطر وقد علمت كفايتي في معانات الجرحى وان نفسي تنازعني الى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعل الله ان يستنقذ بي نفسا صالحة يترحم على من احلها ونقدي قلبي من التعب بخدمتها . ويحفظني بها فكره البطرك ذلك فقال له قد علمت اني لا استطيع فراقك ساعة فكيف تطالبني بالسفر البعيد وانى ما ظننت انك تلقاني بما اكره ويشق على احتماله كما لم اظن انك لم تؤثر شيئا من الدنيا على القرب مني والتحبب الى فقد ازلتني عن حسن الظن بك ولم يزل الوزير يتضرع الى البطرك ويلطفه ويترفق اليه العود الى ان سمح له بذلك فاذن له وزوده وكتب له كتابا الى البطرك الى المطران يخبره فيه ان قد بعث اليه بسوية قلبه وبصره فليحله من نفسه اعلا المراتب

وتستضى به وبرايه فيما اشكل عليه نقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه فى قبته وجعل زمام امره بيده وجعل الوزير ينفق على المطران ما يحبه وما يستميله به ويطرفه كل ليلة باخبار ممتعة رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيانس بذلك ويدس عليه فى احاديثه ما يجب ان يعلمه لسابور من الاخبار ويبطنه من الاسوار فكان سابور يجد بذلك اعظم راحه وكان الوزير قد اعد لتخلص سابور انواعا من المكايد رتبها واسسها قبل ما قدم على المطران وكان يقال ان من ظن من الملوك ان لفطنته فضيلة على فطنة وزيره فقد غلط وان اضاف الى هذا الغلط مخالفة وزيره لم يلح له وجه الراى ومع ذلك لم يفلح وانما كانت فطن الوزرا اثقب من فطن الملوك ابدا يتفقهون فى سياسة من دونهم من الرعايا لا غير والوزرا يتفقهون ابدا فى سياسة الملوك وسياسة الرعايا فهم اشبه بالجوارح بمكايد الاحتراس والاكتساب وكان يقال احسن الوزرا حالا من اعد لكل مهم امرا يجوز وقوعه ويمكن كونه عدة فاذا وقع الامر قابله بما اعده له واسوا الوزرا حالا من توكل على لطف فطنته وقوة حيلته ودربة ممارسته فترك اعداد الامور قبل نزولها ثقة بنفسه وانما كان فى ذلك بمنزلة من ترك ترويق الدم وتزويق القول واعداده وترويته توكلا على لطافته وفصاحة لسانه وقوة بديهته وحسن ارتجاله فيوشك ان يستولى عليه العى والحصر فى بعض مقالاته ومقاماته وبمنزلة من ترك حمل السلاح توكلا على شجاعته

ثيوسنك ان يظفر به عدوه في بعض المواطن . قيل ومن المكايد التي اعدها
وزير سابور انه امتنع من مواكلة المطران وزعم انه لا يريد ان يخلط بالطعام
الذي زوده كبراك طعاماً غيره لما يرجوه من بركة كغذا والاغتذا به فكان
اذا احضر طعام المطران اخرج من ذلك الزاد شيئاً وانفرد بالاكل منه ولم يزل يصنع ذلك
واما قيصر فلم يزل سايراً بجنوده حتى وصل ارض فارس فاكثر فيها القتلى والسبي
وتغوير المياه وقطع الاشجار واخراب كثير ايضاً . من الحصون وهو مع ذلك
يواصل السير مبادراً ليستولي على دار ملك سابور ويباغت من بها من روسا
الفرس قبل ان يمكنوا عليهم رجالاً ولم يكن للفرس همة الا الفرار بين يديه
والاعتصام منه بالمعاقل . فلم يزل قيصر على ذلك حتى بلغ مدينة سابور وقرارة
مملكته وهي المسماة جندي سابور فاحاط بها جنوده . ونصب عليها المناجيق
ولم يكن عند من فيها من عظماء الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال
على اعلاها وكل هذا قد علمه سابور على التفصيل من الوزير بما يفهمه اياه ويدسه
في احاديثه من الاشارات والرموز والكنايات . وكان سابور لم يسمع منه كلمة
منذ سجنه قيصر في تلك الصورة . فلما عرف سابور ان قيصر قد ثقلت وطاته
على اهل جندي سابور وقد ثلم الاسوار بالمناجيق واشرف على فتتاح المدينة
فقل صبره وساء ظنه بوزيره وجزع ويئس من النجاة مما هو فيه . فلما جاء
الموكل بطعامه . قال له ان هذه الجامعة قد نالت مني منالاً ضعفت عن احتماله فان
كنتم تريدون ابقاء نفسي فنفسوا منها عني واجعلوا بينها وبين عنقي خرقاً من الحرير
وجا الموكل بطعامه فاعلمه بمقالة سابور فسمعه وزير سابور فعلم انه قد جزع

وبما طنه وفطن لما قصده سابور فلما جن عليه الليل. وجعل يسامر المطران
قال له لقد تذكرت تلك الليلة حديثاً عجيباً ذكرته منذ كان كذا وكذا سنة
ولقد وددت اني حدثت به البطرك قبل عنه. فقال المطران اني ارغب اليك
ان تحدثني به الليلة ايها الحكيم الراهب. فقال له الوزير نعم وكرامة ثم اندفع
يحدثه رافعاً صوته ليسمع سابور فقال له انه كان عندنا بجليقية فتي وفتاة في نهاية
الحسن والظرف اسم الفتي ما معناه عين اهله واسم الفتاة ما معناه سيدة
النار وكانا روحين مؤتلفين متحابين لا يبغي احدهما بالاخر بدلاً وان عين اهله
جلس يوماً مع اصحاب له يتحادثون فتذاكروا النسا الي ان وصف احدهم امراة
بالجمال البادع والظرف الرابع اسمها ما معناه سيدة الذهب فوقع بقلب
عين اهله ميل اليها فسال الواصف لها عن منزلها فذكر له انها بقرية غير قرية
عين اهله ففكر عين اهله في امرها وخامره حبها وطمحت اليها نفسه طموحاً شديداً
وكان يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة له والجسم كالبنت لهما
فاذا كان سلطان العقل علي النفس مبسوطاً اشتغلت النفس بمصالح
الجسم كاشتغال المراة التي قهرها بعلها بمصالح نفسها وبيتها وولدها
وبعلها فصلحت الجملة. واذا كان سلطان النفس مبسوطاً علي العقل كان
سعي النفس فاسداً ونزاعتها مذمومة كفعل المراة التي قهرت زوجها
قيل فانطلق عين اهله الي القرية التي فيها سيدة الذهب فطلب
منزلها حتي عرفه ولم يزل يتردد عليه حتي راها وراى منزلاً ومنظراً معجباً ولم
تكن احسن من امراته. ولكن كان يقال من ضرورة النفس ان تحن الي التنقل

في الاحوال اذا كانت نقلت جرمها بالتركيب الى عالم الكون ثم تنتقل بالتفريق
الى عالم الفساد وما افتتح امره بالنقله وختم امره بالنقله فاليق الاحوال
بتوسطه للنقله ونازعت عين اهله نفسه الى الاستكثار من روية سيدة الذهب
فلزم المعاوده الى منزلها والتمتع بتاملها حتى فطن له بعلها وكان جليقيا غليظ
الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذيب فرصد عين اهله حتى
مرّ به فلما راه وثب اليه فقتل فرسه ومزق ثيابه وعنف عليه واستغاث
باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه الى دار الذيب وربطوه الى
سارية في بيت من بيوتها ووكل به الذيب عجوزا اقطعا اليد خدعا
الانف عورا العين شوها الحلق فلما جن عليه الليل اوقدت تلك العجوز
نارا بالقرب منه اي من عين اهله وجلست تصطلي بنار فذكر عين اهله
ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز فزفر زفرة عاليه فاقبلت عليه
العجوز وقالت له ايها الفتى ما ذنبك الذي اوردك مورد الزلة والشرع
فقال عين اهله ما علمت ان لي ذنبا فقالت العجوز هكذا قال الفرس للخنزير
فلم يصدقه الخنزير . ثم باحثه عن امره فظهر على ما خفي عنه وعلم صدق
ظن الخنزير فقال عين اهله للعجوز ان رايت ان تحدثيني بذلك وكيف كان
فانك تحسنين الي به فقالت العجوز ذكران فرسا كان لرجل من التجار
وكان يكرمه ويحبه ويحسن القيام عليه ويتعهده المهمات ولا يصيبه
ساعه واحده وكان يخرج به في الغدوات الى مرج فيزيل عنه سرجه
ولجامه ويطيل رسنه فيتمرغ ويرعى حتى ترتفع الشمس فيرده وانه

خرج به يوما الي المرج ونزل عنه. فلما استقرت قدماه علي الارض نفر الفرس وجمح ومر يعدو وبسرجه ولجامه فطلب الفرس يومه كله فاعجزه وغاب عنه عند غروب الشمس فرجع الفارس الي اهله. وقد يئس من الفرس ولما انقطع الطلب من الفرس واطلع عليه الليل واظلم جاع فرام ان يرعي فمنعه اللجام. ورام ان يتمرغ فمنعه من ذلك السرج. ورام ان ينام علي احد جنبيه فمنعه من ذلك الركب فبات بشر ليلة الي الصباح فلما اصبح ذهب يبتغي فرجا مما هو فيه. فاعترضه نهر فدخله ليقطعه الي ضفته الاخري فاذا هو بعيد القعر فسبح فيه وكان حزامه ولببه من جلد لم يبالغ في دبغه. فلما خرج من النهر اصابت الشمس الحزام واللبب فيبسا واشتدا فورم لبابه وحزامه واشتد الضر عليه الي ما به من الجوع. فلبث بذلك اياما الي ان ضعف عن المشي. فمر به خنزير فهم بقتله ثم عطفته عليه ما راي به من الضعف. فساله عن حاله فاخبره بما هو فيه واضرار اللجام واللبب والحزام به. وساله ان يصنع معه معروفا ويخلصه مما ابتلي به. فسال الخنزير عن الذنب الذي استحق به تلك العقوبة فزعم الفرس ان لا ذنب له. فقال له كلا بل انت كاذب في زعمك او جاهل بجرمك. فان كنت يا فارس كاذبا فما ينبغي لي ان انفس عنك خناقا ولا اصطنع عندك ولا ان اتخذك وليا ولا ان التمس عندك شكرا. والطلب فيك اجر وانه بقاك اذا رايت نفس الكذوب قد تشبث بها عالم الفساد فكلها اليه فانه لا يليق بها للفساد تركيبها. والدليل علي فساد تركيب نفس الكذوب

انها مخربة موضة عن الحقيقة في الحوادث ونزاعة الى العدم المحض فتصور كعدم وجود او كباطل حقا وتصور ذلك في النفس المغتر بها الراكن الى قولها وكان يقال احذر مقاربة ذوي الطباع المرذلة لانها تسرق طباعك وطباعهم وانت لا تشعر وكان يقال اصعب ما يعانيه الانسان ممارسة صاحب لا يتحصل منه على حقيقة وكان يقال لا تطمع في اصطلاح الرذل والحصول على مصافاته فان طباعه احمق لك منه ولم يترك طبعه لك ثم قال الخنزير وان كنت يا فرس جاهلا بجرمك الذي استوجبت به هذه العقوبة فجهلك بذنبك اعظم منه فمن جهل ذنوبه اصر عليها ولم يرجع فلاحه وانه كان يقال احذر الجاهل فانه يجني على نفسه وليس احب اليه منها وكان يقال ما شي اشبه بالكذب من الجهل و ذلك ان الكذاب يتناسى الصور والقضية المحسوستين ويتخيل الكذب الذي ضدهما حتى ينطبع ذلك في عقله ويترك عمدا في غيره والجاهل يرى الاشيا خلاف ما هي عليه فيرى القبيح حسنا والحسن قبيحا وانما كان الفرق بين الجاهل والكذاب ان الكذاب ياتي ما يعلم خطاه فيه والجاهل لا يعلم ذلك فهو على نفسه وعلى غيره اشد خيانة من الكذاب فقال الفرس للخنزير ينبغي لك ان لا تزهد في اصطناع المعروف فقال الخنزير اني لست بزاهد في ذلك ولكن انه كان يقال العاقل يتخير للمعروف كما يتخير الباذر للحبوب فانه لا يبذر الا ما ذكي من الارض فحدثني يا فرس عن ابتدى امرك في منازلك وعن حالك قبل

ذلك لا علم من اين ذهبت. فحدثته الفرس بجميع امره وكيف كان عند فارسه
وكيف فارقه وما لقي في طريقه. فقال له الخنزير قد ظهر لي الان انك جاهل بحمقك
وان لك ذنوبا ستة اولها خذلانك فارسك الذي لحسن اليك واعدك
لمهمات ثانيها كفرك لاحسانه ثالثها ادراك به في طلبه رابعها تحريك علي
ما ليس لك وهو السرج واللجام خامسها اساتك لنفسك بتماطيك بتوحش
لست له اهلا ولا لك عليه مقدرة. سادسها اصرارك علي ذنبك وتماديك
علي غوايتك فقد كنت متمكنا من العود الي فارسك والاستقالة من فرط جهلك
قبل ان يوهنك اللجام بالجوع. واللبب والحزام بالضبط. فقال الفرس للخنزير اما اذ
فتحتني وايقظتني لما كنت ذاهلا عنه محجوبا بحجاب الجهل فانطلق الان ودعني فاني
مستحق اضعاف ما انا فيه فقال له الخنزير اما اذا اعترفت بذنبك وفطنت لهذا القدر
ولمت نفسك ووبختها واحققت لنفسك العقوبة علي جهلها واستحليت الحكمة التي وعيتها
لك فانك حقيق بان انفس عنك فانه قيل ان الاب لو قال كتب علي باب بيته
انه لن ينتفع بحكمتنا الا من عرف نفسه ووقف بها عند قدرها فمن كان بهذه الصفة
فليدخل بيتنا ثم ان الخنزير قطع عذار اللجام فسقط وقطع الحزام فنفس عن الفرس
قيل فلما سمع عين اهله ما خاطبته به العجوز وفهم ما ضربته له من الامثال اقبل علي
العجوز وقال لها صدقت فيما قلتيه وضربتيه لي مثلا كشف لي عن خطية امري واديتيني
حكما لا كفاء لها وادبتيني فتادبت ووعظتيني فاتعظت ثم حرضها حديثه ورغب
اليها الي ان تمن عليه بالاصطناع وتطلقه كما فعل الخنزير بالفرس فقالت له العجوز انك لا
غراد بصيرة لك باكثر الامور وان الذي سالتني لا يمكنني فعله الان ولعلي اجد لك

زجاً وبحرجاً مما انت فيه تعليك بالصبر وامسكت العجوز عين اهله **قيل** فلما انتهي
الوزير من حديثه الي هذه الكفاية اقبل علي المطران وقال له اني احس في راسي صداعاً وفي
اعضاي فتوراً ولا يمكنني الليلة اتمام الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشيطاً
الي ذلك قدراً عليه فاكمل مسريك باكماله ونهض الي مضجعه **فجعل سابور** يتصفح حديث
وزيره ويتامل الامثال التي رصعه بها ففهم ان الوزير كني عنه بعين اهله لانه ملك
فارس وكني عن مملكته بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار وكني عن بلاد
الروم بسيدة الذهب وكني عن قيصر بالذيب الذي ذكر انه بعل سيدة الذهب
وكني بطموح نفس سابور الي روية بلاد الروم بطموح نفس عين اهله الي
روية سيدة الذهب وكني باخذ قيصر له بقبض الذيب علي عين اهله وقصد بما ضربه
له من الامثال الحكمية تاديبه علي شرهه وتغريره بنفسه ومخالفته نصحاه وكني عن نفسه
وحاله وعجزه وحزنه وذله في خدمة المطران وطلبه لمرضاته وتعلقه بالعجوز الشمطا
الجدعا العورا المشوهة الخلقة وعرفه انه لا يمكنه تخليصه في ذلك الوقت وانه ساع
في خلاصه فسكنت نفس سابور لما فهم ذلك وعاودته الثقة الثقة بوزيره واستروح
رايحة الفرج ولبث بذلك الليلة وغداها الي الليلة القابلة **فلما** تعشي المطران
واخذ مقعده للمسامرة **قال** للوزير سابور ايها الراهب الحكيم اخبرني ما كان
من خبر عين اهله وكيف كان عاقبة شرهه وهل خلصت العجوز من وثاق عين
اهله الدنيا ام لا فان نفسي الي علم ذلك متطلعة واراك الليلة صالح الحال
قال له الوزير سمعاً للقول وطاعة لامرك ثم اقبل عليه بحديثه فقال ثم ان عين
اهله اقام علي حالته موثوقاً طول الليلة الي الصباح **فلما** اصبح دخل الذيب وهدده

بالقتل وزاده وتاقه تيرًا تقبلاً. وخرج عنه فقطع عين اهله نهاره كله بالاماني فلما
جن الليل قلق واستوحش فبكي وانتحب وجات عجوز فاضرمت نارًا قريبًا منه. و
جلست تصطلي ثم اقبلت علي عين اهله. فقالت له تعز واصبر واذكر مصايب الناس
فتاسّ بهم ولا يذهل عن النعمة العظمي في حفظ نفسك. فقال لها عين اهله
لقد صدق كمايل هان علي الطليق ما لقي الاسير. فقالت له العجوز ايها الفتي
ان حداثة السن قصرت بك عن ادراك كثير من الحقايق اسمع حديثًا لك
سلوة قال نعم علي انه قالت العجوز ذكران تاجرًا مكثرًا بالمال كان له ابن وليس
له ولد غيره وكان شديد المحبة له والشغف به فاتحفه بعض معارفه بغزال
صغير فتعلق به قلب الغلام اي ولد التاجر فكان لا يفارقه وجعل اهل الغلام
علي ذلك الغزال حليًا نفيسًا وارتبطوا له شاة ترضعه حتي اذا اشتد الغزال
وشدن قرناه فقال الغلام لاهله ما هذا الذي في راس الغزال قالوا قرناه فاعجبه
سوادهما وبريقهما وقيل للغلام انهما سيكبران ويطولان حتي صفتهما كيت
وكيت فقال الغلام لابيه احب ان اري ظبيًا كبيرًا فامر ابوه فاصطيد له
ظبي كبير السن قد استكمل قوةً ونموًا فاعجب الغلام واكرمه اهله وحلوه
وانسوه فانس والف الغزال والظبي للمجانسة الطبيعية. فقال الغزال
للظبي ما ظننت قبل ان اراك ان لي جناسًا في الارض وشكلاً لما رايتك
وتم في نفسي ان لي في الارض اشكالاً سواك. فقال له الظبي نعم ان
اشكالك كثيرة. فقال له الغزال فاين هي فاخبره الظبي بتوحشها
وانفرادها في فلوات من الارض فرارًا من الناس وحرته عن مراتعها

دوّاد ها

وموارد ها وازواجها وتناسلها فادتاج الغزال بما سمع به وتمني ان يراها
ويكون منها. قال له الظبي هذه امنية لاخير فيها وانت قد نشات في رفاهية
من العيش وانت لا تعرف غيرها ولو حصلت فيما تمنيت لنزحت وانه كان
يقال ثلاثة من لم ينزلها منزلتها اي حقها اسرعت مفارقتة والتحول عن قربه
وهي الملوك والعلما والنعم وكان يقال الاماني في الشدة ارتياح وفي
الرخا جماح فلا ينبغي ان ياذن العاقل لنفسه من الاماني لا في المقدار
الذي يونسها لوحشته وينفس الكربة فان استيلاء الاماني على النفوس
كتامر السفل الذين يعيدون الروس عجازًا والاعجاز روسًا ويسعون
في قلوب الاعيان وتغيير صورة الصواب. فقال الغزال للظبي لابد لي من اللحاق
باشكالي. فلما راي الظبي ان الغزال غير منته وخاف عليه ان يقطع به قبل
بلوغه ما تمناه لانه غر لا يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بدًا من
اتباعه والكون معه ليقضي حرمة الفته اياه فرصد حينًا يمكنهما فيه الفرار و
خرجا جميعًا حتي لحقا في الصحرا فلما راها الغزال فرح ومرح يعدو ولا
يتمنيه شي فسقط الغزال في اخدود ضيق قد قطعه السيل فنشب فيه فانتظر
ان ياتيه الظبي ليخلصه فبقي هناك. واما ولد التاجر فانه لما اصبح عدم
الغزال والظبي فجزع لفقدهما واشفق عليه ابوه فاشتد علي كل من يعاني
الصيد بذلك البلد فعرفهم القصة وكلفهم طلب الغزال والظبي ووعد كل
من وجدهما وعدًا مرغوبًا فيه وانبثوا في سهل الارض وجبلها وخرابها
يطلبون وركب التاجر دابته وفرق اتباعه علي ابواب المدينة ينتظرون

من باقي من الصيادين وانطلق هو وعبدان من عبيده حتى اتوا الصحرا فراى على
بعد رجلا منكبا على شي بين يديه فاسرع نحوه فاذا صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد
ذبحه فتامله التاجر فاذا هو الظبي الذي يطلبه فخلصه من يدي الصياد وامر عبديه
ففتشاه فوجدا معه الحلي الذي كان على الظبي فساله كيف ظفر بالظبي واين
وجده فقال له اني بت في الصحرا انصب فنصبت شركا وكنت قريبا منه
فلما اصبحت جاء هذا الظبي ومعه غزال فمر الغزال يعدو ويمرح في جهة
غير جهة الشرك وجاء هذا الظبي يمشي حتى حصل في الشرك فاخذته وقصدت
به المدينة فلما بلغت هذا الموضع ظهر لي اني مخطي في ادخاله المدينة حيا لعلمي
اذا روي طولبت بما كان عليه من الزينة فرايت ان اذبحه وادخل فيه لحما فهذا
خبري فقال له التاجر لقد جنى عليك شحك الخيبة والحرمان فماذا عليك لو
اطلقته فذهب وحصلت انت على حليه ومتاعه وزينته ولقد صدق القايل
لا يدخل الشر مدخلا الا اعقبته الحرمه ولا يدخل البخل مدخلا الا اعقبته
حسره الا يرى ان من جملة البخل والشره على اكل اللقمة التي عافتها نفسه
كان متوضيا للحرمة بتفويع ما اكله والحرق عليه عند مفارقته ثم ان
التاجر بعث الظبي المدلل مع احد عبيده وقال لذلك الصياد ارجع معي
الى الجهة التي رايت الغزال يمشي نحوها فرجع به الى تلك الجهة وجعل
الصياد يفتش ويتشرف على المواضع المرتفعة وجعل التاجر يمشيه على
رسله فسمع ترتيب الغزال وهو صوته فصاح به التاجر فلما سمع الغزال
صوته عرفه فصوت تصويتا زايدا واتبع التاجر الصوت حتى قام عليه

فاذا

فاذا هو في احزن وداي شتو في الارض متشبثا فيه فاخذه ونا داه الصياد ثم وهب له
دراهم فصرفه ورجع التاجر بالغزال الي ولده فكملت مسرة الغلام وجعل الغزال
يجتنب الظبي اذا راه ولا يالفه كما كان واذا حصل معه في موضع نفر منه اشد
النفار فنقصت مسرة الغلام لذلك وجهد اهله بكل حيلة ان يجمعوا بين الغزال
والظبي على الفه وسكون فلم يقدروا على ذلك فبينما الغزال يوما نايما في بيت
اذ دخل عليه الظبي فعاتبه على نفاره منه وطول هجره له فقال له الغزال انك
نسيت غدرك بي وانا احوج ما كنت الي عونك لي واوثق ما كنت بنصرتك
قال له الظبي اني لم اغدر ولم اخن ولكن عدم رسوخك في علم التجربة
اوقعك في تهمة البري واني لم اتاخر عنك لاخلصك مما حصلت فيه الا مضطر
التاخر عنك عاجزا عن المبادرة اليك وقص عليه قصته وانه حصل في
شرك الصياد فعلم الغزال عذره وعاد الي تاليفهما. قيل فلما سمع عين
اهله حديث العجوز وفهم ما ذكرته له من عجزها عن تخليصه امسك عن خطابها
قيل فلما انتهي وزير سابور من حديثه الي هذا الحد سكت فقال له المطران
ايها الحكيم الراهب ما هذا السكوت لعلك تريد ان تاخر اخباري بما كان
من عاقبة عين اهله وما لقي من الذيب وما صنعته معه العجوز قال
الوزير اني لعاجز عن ذلك لفتور اجده في اعضاي فقال له المطران لا تفعل
ذلك فانه يسوني ويشق علي فاحمل لي علي نفسك الليلة ايها الحكيم فاني
راغب في تانيسك معجب لاحاديثك فقال الوزير افعل ذلك طلبا
لمرضاتك ولو علمت ايها المطران ما ذخرت لك من اعاجيب الاخبا

وغرايب الاسمار لعجبت من ذلك اشد العجب ثم اندفع يحدثه فقال ان عين اهله
لما سمع حديث العجوز وفهم ما ارادته امسك عنها وبات ليلته تلك باسوء حال
فلما اصبح دخل عليه الذيب فنال منه وتقنعه وعنفه وتهدده بالقتل وزاده
قيدًا الي قيوده وعرف ان لا ناصر له عليه ولا مخلص له من بين يديه وخرج عنه
فجعل يعلل نفسه بقية نهاره ويمنيها الفرج فلما اقبل عليه سواد الليل استوحش
واستوحشته الافكار المرجفه وانتظر ان تجلس العجوز وتحادثه فلم تفعل وجعلت
تكثر الدخول الى البيت الذي فيه عين اهله وايقن بالهلكة وخاف ان لا يتاه
الذيب يقتله تلك الليلة فاقبل على البكا حتى ذهب صدر من الليل فقال
للعجوز ما لك لم تونسيني في هذه الليله ولا جلست الى مجلسة كليه فقالت لما
كان لك في رويتي قطعا جدعا فشوهة عورا رثيثة الحال اما يحملك على
التاسي والتسلي وحمد الله وشكره على سلامة نفسك ومعافاتك من بلاء
هو اعظم من بلايك حتى قلت هان على الطليق ما لقي الاسير ولو اعتبرت
بالمن حالي بما ظهر لك منها لعلمت ان اسري اشد من اسرك فاستمع
الي واحدثك حديثي اعلم ايها الفتى اني كنت زوجات لبعض الفرسان
وكان لي محبا وبي رفيقا والي محسنا فكنت معه في ارغد عيش واهناه
فلا بد بذلك مدة طويلة وولدت له اولادا ذكورا واناثا فكنت واني
رفاهية ونعمة فغضب الملك على زوجي لامر كان منه فقتله وقتل ذكور
اولادي وباع اناث اولادي وباعني ايضا فاشتراني هذا الرجل
الفارسي الذي عدا عليك واحتملني الى هذه القرية وقابنا على

وكلفني من العمل ما لا طاقة لي به وألزم معاقبتي على غير ذنب لما طبع
عليه من القسوة والفظاظة فسألته مرارا ان يرفق بي واستعنت عليه
باخوانه ومن يكرم عليه ان يخفف عني او يبيعني فلم يزده الا قسوة
علي واضرار بي فلبثت بذلك سبع سنين ثم فررت منه فاتبعني فا
دركني فجدع انفي. ثم عاود اسوته علي واضرار بي وعاودت مسئلته
والاستشفاع اليه وهو مقيم على رايه في فمكثت بذلك سبع سنين اخر
ثم فررت منه فظفر بي ففقا عيني وعاودت على الحالة الاولى بل ادهى
وامر فمكثت بذلك سبع سنين اخر ثم فررت منه فظفر بي فقطع يدي وقال
انما ابقي لك من اعضائك كي انتفع بها عينك ويدك فان فررت بعد هذا
قطعت رجليك معا وابقي عينك انتفع بها في الحراسة ويدك في العمل
واقسم على ذلك غليظ الايمان وعاود عسفي وعنتي وقد عزمت على
ان اخلصك الليلة واقتل نفسي بيدي طلبا للراحة مما انا فيه
ولهذا رايتني اكثر الدخول اليك والخروج عنك وانما ذلك لحيرتي
وجزعي من الموت وقد طابت نفسي على الموت ثم انها فتحت قيود عيني
اهله وقطعت وثاقه وتناولت سكينا. فقال لها عين اهله لين
تركتك تقتلين نفسك لقد اشركتك في دمك وانتزع السكين من يدها
وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجوا معا او نعطب معا فقالت العجوز
ان كبر سني وضعف بدني ليمنعني من اتباعك والهرب معك فقال
لها ان الليل متسع والموضع الذي نامن اذا وصلنا اليه وهو قريب
وبي قوة على حملك فقالت له العجوز اما اذا عزمت على هذا فاني لا احوجك

الي حملي ما دامت بي مسكة. وخرجا معًا فلم ينقض الليل حتي بلغا الي حيث
امنا فجزاها عني اهله خيرًا بما صنعت. واتخذها اما يسمع لها ويطيع
لقولها. فهذا ما بلغني من ذلك. فقال له المطران: ما اعجب حاديثك
ايها الحكيم ولقد وددت ان لا افارقك ابدًا. وان سفري هذا يطول
لتطول متعتي بك. ويعظم حظي من انسك. ولقد استعذبت مفارقة
الاهل والوطن لقربك. ونهض كل واحد منهما الي مضجعه. وبات سابور
يتصفح حديث وزيره ويتامل امثاله. ففهم ان الغزال مثل لسابور وان
الظبي مثل للوزير. وان خروج الظبي مع الغزال الي الصحرا وحصول
الغزال في الاخدود مثل لسابور. وانه حصل في جسر قيصر. وانفراد
الغزال من الظبي مثل لسوء ظنه اي سابور بوزيره لتاخره عن استنقاده
وعرف ان الوزير قد عزم علي تخليصه. والخروج به الي المدينة ليلًا و
ان المدينة قريبة منها. وانه يحمله ان عجز عن المشي. فايقن سابور بقرب
الفرج. ولما كانت الليلة القابلة تلطف وزير سابور حتي دخل الخيمة
التي يطبخ فيها الطعام للمطران وللموكلين بحفظ سابور علي حال
خلوة فالقي في جميع الاطعمة مرقدًا قوي الفعل. فلما حضر طعام المطران
انفرد الوزير بالاكل زاده علي ما جرت عليه عادته فلم يكن الا شا حتي
استحوذ المرقد عليهم فانجدلوا في مواضعهم صرعي علي مراصدهم ومضاجعهم
وبادر الوزير ففتح باب الصورة عن سابور. واستخرجه وازال
الجامعة عن عنقه ويديه. وتلطف حتي اخرجه من عسكر قيصر وقصد
به جنديسابور. وهي مدينة مملكته. فانتهيا معًا الي سورها. فصرخ بهما

الموكلين بحراسة السور فتقدم الوزير اليهم وامرهم بخفض اصواتهم و
عرفهم بنفسه واعلمهم بسلامة ملكهم فابتدروا اليهما وادخلوهما المدينة
فتقوية نفوس اهلها وامرهم سابور بالاجتماع وفرق فيهم السلاح وعهد
اليهم ان ياخذوا اهبتهم فاذا ضرب الروم ناقوسهم الضربة الاولى
خرجوا من المدينة واقتربوا من عسكر الروم وقاموا على تعبية وتاهب حتى
اذا ضربوا الروم الضربة الثانية حملوا باجمعهم كل فرقة على من يليها فامتثلوا
امره وانتخب سابور كتيبة عظيمة فيها اشجع اساورته وقام معهم فيما
يلي الخيمة التي فيها اخبية قيصر فلما ضربة النواقيس الضربة الثانية هجموا
من كل جهة وقصد سابور اخبية قيصر ولم تكن الروم متهاهبين لحملتهم
لعلمهم بضعف الفرس عن مقاومتهم وانهم قد هدموا ابواب مدينتهم فما شعروا
حتى دهمتهم خيل الفرس واخذ سابور قيصر وغنم عسكرهم جميعا واحتوى
على خزاين قيصر ولم ينجوا من جنده الا الشديد وعاد سابور الى قرار
ملكه فقسم الغنايم بين عسكره وافاض الصلوة على من في مدينته يتفقد
احوالهم واحسن الى حفظة ملكه واشرافه وفوض جميع امره الى وزيره
الذي خلصه ثم احضر قيصر فاكرمه ولاطفه وقال له اني مبق عليك
كما ابقيت وغير مجازيك بتضعيف حبسي ولكني اخذك باصلاح
جميع ما افسدت في جميع مملكتي فتبني ما هدمت وتغرس مكان كل
نخلة قطعتها من بلادي زيتونة وتطلق كل من كان في مملكتك من اسارى
الفرس فضمن له قيصر ذلك كله ووفا به ولما انتهى في الاصلاح الى ما

انثلم من سور مدينة جنديسابور. قال سابور لقيصر انما تبنيه من تراب بلادك فامر رعيته من الروم ان يحملوا التراب من بلادهم الى جنديسابور فرفع به ما انثلم من سورها. ولما اتم قيصر ما اراد سابور من ذلك كله احسن اليه واطلقه وارسله الى دار مملكته. بعد ان قال خذ اهبتك للقتال فانى غاز ارضك عن قريب. قال محمد عفى الله عنه. قد بلغت هذه السلوانة حد الغاية التي يحتملها هذا الكتاب. والحمد لله على تيسير ذلك

السلوانة الثالثة

وهي سلوانة الصبر وهي ثمرة التأسي

وقال ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه ونبيه العزيز عليه واصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال سبحانه واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. وهذا لما قالت المبطلون عليه. وقصدوه بمكرهم وبمكروه اليه. كما اخبر الله سبحانه وتعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يخرجوك او يقتلوك. وكان رؤساء قريش اجمعوا امرهم واجتمعوا في الندوة. اي دار الندوة. تشاوروا في امر النبي صلعم. واتاهم ابليس لعنه الله في صورة شيخ اعرابي فارادوا اخراجه عنهم. فقال لهم اني رجل من اهل نجد ولا عيب عليكم مني. وقد بلغني ما اجتمعتم له ولعلكم لا تعدمون من محضري خيرا. فاخذوا في تشاورهم. فقال عتبة ارى ان تخرجوه من بين اظهركم فان ظفر كان ظفره خطا لكم. وان قتل كنتم قد كفيتم

وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده والبر اخوه والصبر امير جنوده كفاك بشرف خصلة تتامر على الخصال وليس المراد تفضيل الصبر على العلم فالعقل وسائر ذكور الخصال ولكن المراد ان بالصبر يكون الثبات على الخصال هذه لمن اتصف به كما ان المحبة توجب المنفعة. والمضرة توجب البغضه. والمخالفه توجب العداوة لان معنى الصبر والثبات والحبس والامساك. فمن اتصف بشي من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه والملازمة له كان عند مزايلته كمن لم يتصل به فالصبر لهذه الخصال الشريفة ضابط لها ضبط الامير جيشه عن مزايلة مراكزها والاخلال بما يصيب له من دفاع وانتفاع. **منثور ومنظوم** من الحكم في الصبر. روي ان عليا رضي الله عنه قال الصبر مطيه لا تكبو. **وقيل** ان مما كتب في الصحيفة الصفرا المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس فلذلك الظفر للصبر اصبر تظفر. **فاعلم** ان ظل الصبر ظليل. ومضله ذليل. وان الصبر ذريع يفضي بمن عرج به الي الفرج. وان اقل فوايد الصبر على البلية ان الصابر عليها ينغص لذة عذوه المتشفي الشامت به. **قيل** ما اصغر المصيبة بالارباح قيل اذا عادت بسلامة الارواح **وقيل** الصبر على المصيبة مصيبة الشامت لها والصبر صبران صبر العامة وهو عمل اشباح. وصبر الخاصة وهو عمل ارواح وقد حكم هذا المعنى حبيب بن اوس حيث يقول

الباس سرد الصبر مدرع له	في الحادثات الحظل ادراع اللام
والصبر بالارواح يعلم فضله	صبر الملوك وليس بالاجسام

قوله ادراع اللام اي الدرع يقال له لامه وجمعه لام. **وقال ابن حبيب ايضا**

واذا رايت اسيل مرء او صبره يوما فقل ابصرت صورة عقله

وقال نهشل بن حزاق المعني

ويوم كان المصطلين بحره وان لم يكن نار قيام على الجمر
صبرنا له حتى يبوخ وانما تفرج ايام الكريهة بالصبر

قوله يبوخ اي يخبو وهما سوا وقلت في ذلك

على قدر فضل المرء تاتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال بعضهم في ذلك شعرا

الصبر اولى بوقار للفتى من قلق يهتك استار الوقار
من لازم الصبر على حالته كان على ايامه ههج بالخيار

وقال عمرو ذو الكلاب

ومقعد كربة قد كنت فيه مكان الاصبعين من القتال
صبرت له وكنت اخا حفاظ اذا حام اللئام من النزال
فهذا والمنية من وراءي ستطرق مهجتي احدى الليالي

وقال ايضا

الصبر مفتاح كل خير وكل شر به يهون
اصبر وان طالت الليالي فربما ساعد الحرون

قال محمد عفى الله عنه هذا اغرج من الصبر وهو يتنوع انواعا والنوع اللايق
بكتابي هذا صبر الملوك. وصبر الملوك عبارة من ثلاث قوى: القوه الاولى قوة

الحلم وعزتها في الملوك النبات. واما عزتها في حماة المملكة من الاقدام في المكافحة
للمعارك ولا يزاد من الملك الاقدام في المكافحة فان ذلك من الملك تهور وطيش
وتغرير وانما شجاعة الملك ثباته حتي يكون قطبا للمتحاربين ومعقلاً للمنهزمين
وهذا ما دام بحضرته من يذب عنه ودفاعه دونه. وحماية له فقد ذكرت الفرس
ان فيلاً اغتلم اي هاج شبقاً فدخل قصر كسري انوشروان والفيل اذا
اغتلم كسر سواسه ولم يثبت له شي الا اتي عليه قالوا وان ذلك الفيل قصد
مجلساً كان فيه كسري ومعه جماعة من كفاية اصحابه. فلما راي القوم الذين
كانوا مع كسري ان الفيل قد قصدهم فروا من المجلس وثبت كسري علي حاله
علي سريره وثبت معه رجل من اساورته كان مكيناً عنده وثيقاً بثباته فقام
الاسوار بين يدي كسري وبيده طبر وقصد الفيل فثبت له حتي قربه
فضربه بالطبر علي فنطسته فكر الفيل راجعاً وقد نالت منه الضربة منالاً شديداً
وكسري في هذا لم يتخلخل عن مجلسه فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك واما
اذا لم يكن بحضرة الملك من يثق به ويدفع عنه حسن حينئذٍ ان يذب عن نفسه
اما بالاقدام علي العدو ان غلب علي ظنه الامتناع منهم بالاقدام عليهم واما
بالانهزام عن العدو ان غلب علي ظنه انه لا قبل له به واشفق من عطب رعيته
لهلكته كما حكي ان موسي الهادي كان يوماً في بستان ومعه اهل بيته وبطانته
وهو راكب علي حمار وليس معه من سلاح فدخل عليه حاجبه فاخبره ان رجلا
من الخوارج جي به اسيراً. وكان الهادي حريصاً علي الظفر به فامر باحضاره
وادخاله فادخل بين رجلين قد امسكا يديه. فلما راي الخارجي موسي الهادي

جرب يديه والرجلين والخترط سيف احدهما ووثب نحو الهادي فلما راي ذلك
من كان حول الهادي فر اهله وخاصته فروا وبقي الهادي وحده وثبت
علي حماره حتي اذا قرب منه الخارجي وكاد ان يقتله بالسيف قال الهادي
اضرب عنقه يا غلام فالتفت الخارجي الي خلفه فوثب الهادي من علي سرجه
فاذا هو علي الخارجي فسقط الخارجي تحته فقبض الهادي عليه وانتزع منه
السيف فجذبه . ثم عاد الي ظهر حماره من فوره وتراجع اليه خاصته يتسللون
وقد مليوا منه رعبا وحياء . فما خاطبهم في ذلك بحرف واحد . ولم يكن بعد
ذلك يفارقه سيفه . ولا يركب الا خيلا . وقد جلي عليك الخبر ما ابر الله به موسي
الهادي من ثبات الجاش . واصابة الراي . وشدته وشجاعته للقلب وقوة
البدن رحمه الله تعالي . روضة رايقه ورياضة نايقه
قيل انه ذكر لكسري انوشروان . ان ارضا من التخوم الهندية . تناجم
اقاليم بابل . بحسن المطر وطيب الهوي والما وكثرة الغذا وزكا الاثار
وكثرة العمار وحصانة المعاقل . ووصف له اهل تلك الارض بعظم الاجسام
وبلادة الافهام . وشجاعة القلوب . وقوة الابدان . والصبر علي العبادة .
وملازمة الطاعة . ولين المقاربة . فشرهت نفس كسري الي تلك الارض
والتكثر باهلها . وكان يقال الشره اعرف الخصايل باللوم فالحرص ابوه
الذي يلده . والبغي رفيقه . والطمع شقيقه . والذل ابنه الذي يلده . و
كان يقال من شره وقع فيما يكره . وكان يقال الشره شره ينتجها طمع . و
ينتجها طمع . قيل فلما طمحت نفس انوشروان الي تلك الارض سال عن ملكها

فاخبر انه عظيم من اراكنة الهند وانه شاب منقاد الى شهواته مقبل على لذاته
الا انه سالك طريق العدل لا يجور وسالك منهلا من البذل ذا راقة برعيته
قد شربت قلوبهم ورده . وصرفت اعينهم الى ما عنده فندب له كسرى
رجلا من ثقات اصحابه قد اكتسب ادبا من ادب الملوك وتفقه في سياستهم
وكان ذا دهاء ومكر فامره ان يتامل مسالك الارض ويبحث وحزامة
عن ثغورها ومعاقلها وتطلب عوراتها وتفقد احوال ملكها واهلها وكتب
معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول في طاعته ويحذره التعرض
لصولته بمخالفته فانطلق ذلك الرسول حتى قدم على الاركن فاحسن
نزله وبالغ في تكرمته وبره وعمى عليه الاخبار وبالغ في قبضه عن التصرف وفي
قبض الناس عن لقائه فاحتجب عنه ولم يستدع الكتب منه وندب منه
الاخبار وقد علم ما قصده فارس فبعث اليه الاركن رجلا من دهاة
اصحابه فامره ان يطلق التصرف بالتجسس عن انبائه ويتلطف في
مداخلته ومخالطته فامر ذلك الجاسوس بذلك فانطلق الجاسوس
فاكترى له حانوتا مجاورة لدار الرسول وملاها فخارا وجلس فيها
يبيع ذلك الفخار وكان للرسول غلام يخف في حوائجه ويتصرف فيه
ما ربه فجعل الجاسوس اذا راى ذلك الغلام هش له واكرمه وسأل
عن ماله من حاجة الى ان انس به الغلام . فكان يجلس اليه ويستقضي
به امره فلبث بذلك مدة لا يسائله عن شيء من امر سيده فلما تاكد
انس الغلام به قال له يوما من تكون ومن لك في هذه الدار حتى

تدخلها فقال له الغلام صحبتني منك كذا وكذا ولا تعرفني فقال له الجاسوس
ومن اعلمني بك فقال الغلام انا غلام رسول الملك كسرى وسيدك نحو
هذه حداد قال له الجاسوس ومن كسرى ومن رسوله قال له الغلام كسرى ملك
بابل . ارسل سيدي الى ملك ارضكم قال الجاسوس قد عرفت حين ذكرت
لي بابل لاني كنت في صباي اجير الرجل من اهل بابل ثم امسك عن الغلام
لا يساله عن شي لانه كان يقال التثبت تنفير وقيل المستقصي بريد الاريب
وقيل من تسرع الى الامانه فلا لوم على من اتهمه بالخيانه ومن تنصح قبل ان
يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع . ومن عني بكشف ما استتر عنه فلا لوم
على من اتهمه بخبث الطباع . ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما اذا خرج مولاك فارني
اياه . فقال ان مولاي لا ينصرف . قال له الجاسوس امريض هو . قال الغلام
لا . ولكن ملككم حصر عليه الخروج . وعلى الناس الدخول . فبكي الجاسوس فقال
له الغلام ما الذي ابكاك . قال له الجاسوس بكيتي لرحمة لمولاك مما هو فيه
لاني حبست مدة في دين كان علي ومنعت امراتي من الدخول علي . فلولا ان
من الله علي برجل كان محبوسا معي . فكان يسليني بحديثه وايناسه . لهلكت
غما فهل تحدث مولاك وتسليه . قال له الجا الغلام اني لا اعرف هذا ولا ادري
خبرا اطرفه به فقال له الجاسوس افلا ادلك علي ذلك قال له الغلام انك
تحسن الي بذلك قال له الجاسوس اذا خرجت من عند مولاك فطف بالمدينه وتامل
ما تراه فيها . فاذا رايت جماعة يتحدثون فاجلس اليهم واستمع ما يفيضون فيه فاذا
فاذا رجعت الى سيدك وخلوت معه فقل له رايت كذا وكذا . وسمعت كيت وكيت .

ثان في هذا تسلية له وانسا من وحشته ويوشك اذا فعلت هذا يحظى بي فيفعل ما امر
به الجاسوس. فقال سيده من دلك على ذلك هذا. فقال الغلام اني فطنت له
ففعلت. فقال له سيده كلا ليس هذا في قوة عقلك. فاخبرني من دلك عليه
فقال الغلام دلني عليه جار لنا يبيع الخمار انما رايت اجهل منه ولا ابلد منه. ولا ابله
فقال سيده ما الذي دلك على جهله وبلهه. قال الغلام انه صحبني اكثر من شهر
وهو لا يعرف من انا ومن سيدي وذكرت له الملك كسرى فما ذكره ولا يعرفه. فلما
سمع الرسول ذلك. استراب به وحرص انه متجسس عليه. لما راى انه افرط في
تجاهله. وكان يقال من افرط فهو كمن فرط. ومن اشتغل في عكوه اشتغل عن عدوه
وكان يقال ما دل على الاحوال كالاقوال. ولا هتك قناع المعقول كسماع المقول
وكان يقال من لم يعرفك غايبا اذناه لم يعرفك شاهدا عيناه. وقيل فلما
سمع مقالة عبده امره ان ياتيه به ففعل. فلما راه الرسول حقق ما كان ظنه به من
كونه جاسوسا عليه فاكرمه وقربه. وتظاهر له بغباوة وجهل لا يزيد عليهما. وساله
ان يواصل زيارته فلبث الجاسوس يتفقد احوال الرسول في ليله ونهاره مدة
متراخية. فلما ظن ذلك الجاسوس انه قد حصل ما اراد علمه من حال الرسول
ذهب الى الملك الاركن. واخبره ان ذلك الرسول قرم غبي لا ذكا له. ولا غنا
عنده اكثر من انه ذو نجدة. وفراسة ونفس ابية. فوثق الملك بقوله وتخيل
ان الرسول بهذه الصورة التي مثل بها الجاسوس عنده. وكان يقال لا يكن
سمعك لاول مخبر ولا رايك لاول مجلس. وكان يقال اذا كان الخبر يدخله
الصدق والكذب فالقضاء له باحدهما قبل الامتحان جور وكان يقال

انما تفيد بصدق الخبر عصمة المخبر اصدقه وشرح ذلك المخبر الصادق اذا لم يكن
معصوما فهو عرضة للتبليس وفرصة للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما يفيد
سلامته من التحريف فيما نقله ولا يفيد وعصمة ادراكه فيما ادركه فقد
ينظر الصادق المغفل الى الشمس فيخبر انه غير سايره وينظر الى القمر ودونه قطع
السحاب فيخبر انه ادرك سرعة السير وينظر الى افعال السحر فيخبر عنه الاشيا
بخلاف ما هي عليه وينظر الى سفينة جارية فيزعم ان البر يسير معها ويسمع
كلام الببغا المجربة من بصره فيخبر عن انسان فلم يدخل الخلل من جهة تحريفه لكن
من جهة ادراكه. وقيل لما وفق الادرك بمقالة جاسوسه احضر رسول
كسرى فاكرمه وخاطبه بكل خير وكل قول حسن واخذ منه الكتب وخلع عليه
واجزل صلته ورده الى منزله مكرما مسرورا واباح له التصرف. واذن لمن اراد
قصده في زيارته وبالغ في اخاذه وتكرمته ولبث بذلك عاما. ثم استحضره وسلمه
جواب كتابه واعطاه هدية الى كسرى. يقال ان منها سيفا طوله خمسة اشبار ولونه
كلون النحاس الاحمر. يعمل في الحديد كما يعمل غيره من السيوف في الرصاص. وصحفة من الياقوت
الازرق تسع منا من الطعام. وكاسا من الزمردة الخضرا البحرية تسع رطلا من
الشروب. والف درة فريدة. وقنديلا من المها فيه ياقوتة حمرا كبيضة الحمامة اذا علق
في بيت ليلة الف شعاع الياقوتة على الالوان القابلة للحمرة فلا يشك في
حمرتها وطيبا كثيرا. ودروعا ودرقا وغير ذلك. وخص الرسول تحفا وذخاير
نفيسة وصرفه الى مرسله. فلما قدم الرسول على كسرى ساله عما ذهب اليه ليعرفه
فاخبره بطيب تلك الارض وفضايل خصايص اهلها وشرف مزاياها وحصانه

نفورها فانه لم يجد لها عوده يوثق منها الا عوده سكانها فان عقولهم مهيئه
لقبول الخداع محجوبه عن النظر في العواقب وان هذا هو موجب حسن طاعتهم
لمن الفوا طاعته فلو ندبت اليهم رجالا يحسنون نصب الدعوات الى الدول
لاستمادتهم وصرفوا طاعتهم عن ملكهم فاذا انصرفت طاعتهم لم يقم لملكهم
بعد ذلك قايمه فهم في الرخاء مجباه، وفي البلاد مستضاه فنظر كسرى
فيما كتب به الاركن فوجده قد خاطبه بالملاطفه وقد اعترف بفضله وتملقه
ورغب اليه في الموده والمواخاه فاستشار كسرى انوشروان وزراه في امره
واعلمهم ان نفسه لا تطيب بمسالمته فاختلفوا عليه فاجمعوا ان يرد هديته ففعل
ثم ان كسرى ندب لاستفساد رعيته رجالا يحسنون نصب الدعوات والدول
وارواح عالمهم ويبغ لهم مثلا يحدثون عليه وامرهم بذلك فنفذوا
لما امرهم به حتى انتهوا الى مملكه ذلك الاركن فتفرقوا ابها وعمل كل واحد
منهم قوته فيما انتدب له فلما اتى عليهم عامان احكموا ما ارادوه من
الحيل في دار مملكة الاركن وفي عين مدنه وحصونه ورساتيقه
وكتبوا بذلك الى كسرى فجهز اليهم المرزبان المتولي ربع مملكته
المقابله لتلك الجهه وذلك ان اقليم بابل كان مصروفا الى اربعة
مرازبة فلكل مرزبان ربع منه ومع كل مرزبان خمسون الف مقاتل
فلما شرع ذلك المرزبان في الحشد والاستعداد وكتب عيونه
الاركن بتلك الجهه اليه يخبرونه بان المرزبان المجاور لجهة بلاده
قد اخذ في حشد الاجناد اليه فتهيب له الاستعداد. فعلم

الاركن

هو كن

انه قاصدة وانه قد نجم النفاق ببلده وتحدث الناس بقصد المرزبان اليه واكثروا الاراجيف فانتبه الاركن لغفلته وبحث عن الامور لتوقف على حقيقتها وكان امر مملكته يدور على خمس رجال اربعة منهم وزراه والخامس هو صاحب البيت وهو رئيس الزمامة والذي ياخذون منه دينهم . فجمعهم الاركن وعرفهم ما بلغه من فساد قلوب رعيته وحشد المرزبان بقصد بلده واظهر لهم الحاجة الى كفايتهم . فقال احد الوزراء الاربعة الراى ان يستصلح الملك رعيته فيما بايديهم رغبة . ويقلوبهم امنا وراما لا حتى يستفيم معوجها . ويانس نافرها فان عدونا اذا علم ذلك جبن عن الاقدام علينا وان قدم لقيناه بكلمة مجتمعة وايد متناصرة . فقال رئيس الزمامة انما هذا يصلح من الرعية لو كان فسادها انما اوجبه هضم جور . او عسف سيرة فيزال عنها سبب فسادها فتصلح وليست رعية الملك بهذه الصفة . وانما اورد عليها الفساد لجعلها بمواقع الصواب ويطرها بترادف النعم . وقد قيل اربعة اذا افسدهم البطر لم تزدهم التكرمة الا فسادا الولد والخادم والزوجة والرعية . وضربوا لذلك مثلا القوى الاربعة المرذولة اذا هاجت لتعدي حدودها المصلحة وهي الغضب اذا تعدى حد الشجاعة وحد الانفة من الرذايل والشهوة اذا تعدت حد راحة العقل من حد اكتساب الفضايل والحرص اذا تعدى حد الكفاية والكسل اذا تعدى حد راحة الجسم من حد اكتساب المصالح فان هذه القوى الاربع اذا تعدت هذه الحدود ~~المداراه والمداراه~~ لم تردها المداراه والرفق بها الا هيجانا وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها فقال الملك صدق الحكيم ثم قال وزير اخر من الوزرا الاربع

الراي عندي ان يضرب بمن صلح من الرعية من فسد منها حتي يستقيم ويستوثق
هم ثم نلقي عدونا بمن لا نخاف دغله لانا مضطرون الي الحرب لكون عدونا
لا يعيد الا اخذ ما بيدنا جميعه قال ريس الزمامه هذا انفع لعدونا
من جيشه وادعي الي طاعته من دعاته مع انه اذا علم بحربنا فيما
بيننا وتناصينا وذهبت هيبتنا من نفسه وبلغ فينا امله وقد
قالت الحكما ابعد من استقبلها بالعنف والردع في اربعة احوال
هلك بسببها. الملك في حال غضبه. والسيل في حال صدمته
والفيل في حال غلمته والعامه في حال هيجانها ومرجها وقالوا
ان الذي يردع العامه عن مرجها وهيجانها كمثل نات الجدري
في حال انبعاثه الي سطح الجسد بالاطلية الرادعه فقال الملك صدق
الحكيم ثم قال وزير ثالث الراي عندي ان يطلب ولا تعين من
فسدة طاعته من الرعية فيميز ممن سواه ثم نري راينا فيه بما
يقتضيه حاله من قلته او كثرته وصنعته او نباهته وضعفه او قوته
او غيره فنتامل ونعامله بما يوجبه حاله من التدبير فقال ريس
الزمامه البحث عن هذا الان خطر عظيم لا يوحش المريب بل يحركه علي
اللحاق بعدونا واعلامه بالنصايح ودلالته علي عوراتنا واذا
التحق بعدونا قاتل معه علي بصيرة ليستلهد ونا ويبذل جهده في
العود الي وطنه واهله وماله. وعدونا لا يقاتلنا علي مثل ذلك
وربما لم ينفصل عنا المريب بل يقاومنا بوضعه ويكاشفنا ويقاتلنا

علينا بشكل اهل الوعيد فيتصح وان لم يكن علي مثل رايه لعلة مشاكلته لرايه ان الكلبين لا يمنعهما تعاديهما وتهارشهما من التعاون علي الذيب اذا ابصراه ولا يلتفتان الي تحقق الذيب في الخلق الكلبي ولكنهما ينافرانه ويصطلحان في التعاون عليه نظرا لشخصيته وتوحشه وكلفته وجراءته وكذلك العامي لا ينظر الي المالك من حيث تحققه في الخلق الانساني بل ينظر اليه من حيث خصيصه نفوذ وانفته وعلو همته فينافره لذلك ويالف العامة الذي بذل كلها في الاخلاق لعلة المشاكلة وقد قالت الحكما لا تدان كل شفقتهم بالامتحان في مثلا ثة احوال خسر هم مودتك في حال استقلالك وصدقهم في حال اختلالك وامانتهم في حال اقبالك والوعيد كالزوجة وادبار الدولة كالناس لك وقال مثل ذلك الامتحان قوى معد كما قهي من الامراض بالاطعمة الغليظة فقال الملك صدق الحكيم فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وفضلا واقصدهم رايا اما انا فاحدث الملك حديثا اخبرني به مودني وكان من احرما افادنيه وقال اخزن هذا الحديث في وسط قلبك ولا تخرجه الي اليوم الذي تحتاج فيه اليه واني لاحسب هذا اليوم فقال له الملك قل نسمع لحديثك فقال رئيس الوزرا ما ادلاه بالاصابة فقالت الوزرا الثلاثة انه كذلك فقال الوزير الرابع انما نحن كصاحب الاخذ في افتقار

بعضها الى بعض وقوة بعضها ببعض وتزين بعضها ببعض ثم انما تستمد
الدراري من نور الشمس فكلنا الى الملك محتاج و به مستفيد فقال
الملك قل ايها الوزير الصالح بالقبول والكرامة لك ولمن ينوب عنه
فانتم منا الينا معشر اصحابنا الخمس كالحواس الخمس للقلب فسجدوا
له اجمعين ثم قال ذلك الوزير الرابع زعموا ذوي ان رجلا موسرا
من التجار كان ياوي من منزله بيت مبطن السقف وفيما بين ذلك
السقف وبطانته فيران خامرين من شهواتهم وداعين من الادمنة
وتيسير الاطعمة يمرحن النهار كله علي حال طمانينة فاذا جا الليل
نزلن من السقف فتفرقن في مخازن التاجر ومساكن عياله فاكلن
واحتملن فكثر اذاهن علي التاجر وان دخل يوما مسكنه ذلك فاستلقي
مفكرا في بعض امره وجعلت الفيران تمرحن علي بطانته والتراب
يتهيا قطا عليه من خلل الالواح فضجر التاجر ونهض مبادرا فامر
بتحويل السقف وما في البيت من اثاث ثم امر عبيده بوضع البطانة
فانتشرت الفيران في الدار فقتلن شر قتله ولم ينج منهن الا جرد
وفارة كانا غايبين عن البيت فلما ابصرا فساد وطنهما ومصارع
الفيران في جميع الدار راعهما ذلك واقبل الجرد علي الفاره فقال
لها لقد صدق القايل من صحب الدنيا واتقاها كان كالنايم
في الظل الذي يكون قبل بلوغ الشمس الي نصف دايرة فلكها
الاعلي فيتقاصر الظل عنه بتصويب الشمس فيوقظه حرها ولا يجد

المظل

للطل عينا وادا ترا . فقالت الفارة صدقت فما ترى . قال الجرد اري انا لا
نسكن بموضع ينال منه المنال هذا . فقالت الفارة لهو انا معك فانطلقا
حتى اتيا ارضا بازاجرد ذات اخلاط من الوحوش وحزاهو واديا معشبا فيه
غدران ماؤها فيه ضفادع مسلاحقة فاعجبهما ذلك وسارا بالوادي يلتمسان
موضعا يحتفران فيه جحرا فانتهيا الى ربوة عالية في وسط ذلك الوادي
قد انحاز من مسيل الماء فيه يمينا وشمالا فاحتفرا في اصل تلك الربوة جحرا
ارضياه فاوطناه وانهما علوا يوما من الايام . تلك الربوة فرايا في اعلاه
يربوعا قد علت سنه على بابه الجحر الذي له فرحب بهما وحادثهما وسالهما
عن امرهما . فاخبراه الى ان ذكرا له انهما قد وطنا جحرا في اصل تلك الرابية
فقال لهما اليربوع لولا ان النصح كثيرا ما يدعو الى التهمة لنصحت لكما
قالا له ما احوجنا الى نصحك . فقال لهما انه كان يقال اربعة لا تقدم
عليها حتى تسال عنها السوق لا تقدم عليها حتى تسال عن النافق والكاسد
فيه . والمراة لا تقدمن على خطبها حتى تسال عن منصبها وخلقها
والطريق لا تقدم عليها وتسلكها حتى تسال عن امنها وخوفها والبلدة
تستوطنها حتى تسال عن مرافقها وسيرة سلطانها . واخلاق اهلها
وقوة من يكيد اهلها ويعاديهم . وكان يقال انظر الى المتنصح فان
اتاك بما يضر غيرك ولا ينفعك فاعلم انه شرير وان اتاك بما
ينفعك ويضر غيرك فاعلم انه طامع . وان اتاك بما ينفعك ولا يضر
غيرك فاصغ اليه وعول عليه . وكان يقال ان لم يكن تعن ناصحك

علي نفسك كان ناصحك لمن لا يروم تقويم ظل عود قد نصب معوجا
قبل ان يقيم العود في نصبه وكان يقال اذا كان اردت ان تعلم
ما يغلب علي الانسان من قوي الخير والشر فاستشره فان ذلك رايه عليه
اصح دلالة وكان يقال اشر ما في عالم الاخلاق التعاطي لان المتعاطي
يزين المتخلق بذلك شيئا او يعرضه في مواسم الخزي وهذا مثله كالضعيف
يتعاطي القوه وكالجاهل يتعاطي العلم وكالفقير يتعاطي الغني
وكان يقال اذا احتجت الي المشاوره في امر فشاور ذوي الحنكة
والتجربة من طبقتك وذوي صناعتك ولا تعدل عنهم الي غيرهم ممن
ليس من طبقتك وذوي صناعتك فيخرجك من حيث لكونك خارجا
عن علم خصايصك واعلما انه قد جمعتني واياكما مناسبة صناعية
وهو حفر الحجرة الاني في علمها ارسخ منكما فانتقلا عن حجركما
فانه بيس الحجر ومن شر الاوطان وانا ابن عنه الارض والخبير بها
وقد قيل انتقل كل ارض بخابرها فتحولا عن ذلك الحجر واطلبا ماوي
سواه فخرجا من عنده ليريوع يهزان به ويسخران وينسبانه الي
الهرم والحمق ورجعا الي حجرهما فلبثا فيه مدة طويلة وولد
فيه اولادا ثم ان الجرذ خرج يوما من الايام فاوغل في تلك لبعض
شانه ثم عاد قاصدا الربوة فاذا السيل قد جري في ذلك الوادي
فاحدق بالربوة وارتفع حتي راي عادت الربوة بحرا عجاجا فوقف
علي صفة الوادي ينظر متحسرا الفساد وطنه وهلاك الفه وولده

وقف

وذهاب ما اعدم من الاطعمة فراي اليربوع قايما في اعلا الربوة امنا
فناداه ايها (الجرد) كيف وجدت اضاعة الحزم فقال لقد وجدته تماما فقال اليربوع
للجرد هون عليك وخفض من حسرتك فان النعم في بقاء نفسك ترجي
علي المصيبة باهلاكه ولو كان فاسل لنعمة بالشكر تالفك فتستمع بها وكان
يقال اظهر البشر لتالاته للصديق وللعدو وللنعمة وكان يقال الحر
لا تذهله اساءة من كان احسن اليه عن شكر احسانه السالف عنده وكان
يقال اذا احسن اليك محسن ثم تنكر واصابك باساه فلا تنقبض عن
ودم علي شكر اوله وبرك به فان ذلك اوجد شفيع لك عنده فقال الجرد
لليربوع ما كان اشفاني ايها الحكيم بمصيبتك والبعد عنك في بحق فيل
ينبغي للعاقل ان يصحب لعلما المهدين بالحكمة والادب ولو كنت ذا
بصيرة لعلمت انك ايها الحكيم لم تكلف نفسك صعود هذه الربوة الكود
وهبوطها علي ضعف بدنك وكبر سنك الا لامر اقتضته الحكمة
واوجبه الراي المصيب ثم ان الجرد امهل حتي ذهب السيل وصعد الربوة
واتخذ جحرا الي جانب اليربوع واوطنه امنا قرير العين هذا ما
اخبرني به نوذلي فقال الملك صدقت ايها الحكيم والوزير الصالح
قايلا وسددت ناصحا واصبت مشيرا وتلطفت مبلغا ودعوة سميعا
فالتمس لنا ربوة نرضاها لاستقرارنا ونلزم انفسنا الصبر علي
صعودها ونقصرها فيها عن مالوف ملاذها وانبساطها في هذا
العالم الخبيث فلعلنا نجتني السلامة التي جنتها اليربوع من سيل

هذه الفتن. فقال الوزير ايها الملك السعيد المفدي بالنفوس الزكيه
عشت ما بر الدهر ان تعيشن. ونلت ما املت. فما العجب قبولك مما نهدي
اليك من نعمة وتجلوه عليك من حكمك واني لا اعرف في ناحية من
ممالكك معقلاً نظل منه على اهل الارض اطلالاً وكن حل على الكواكب
تقاتل دونك الابصار اللامحة والافكار الطامحة وهو مع ذلك
ذو هوا عليل وما سلسبيل وحدايق باسقه ومراتع متناسقه وقد
كان بعض سلف الملك السعيد عني به بعض العنايه فقطع عليه
امله الدثور الحتم كقاطع عقود الحيا. فلما سمع الملك ما دله عليه
وزيره ملي سروراً وركب من فوره وخاصته وثقاته الى ان انتهي
الى ذلك المعقل الذي دله عليه وزيره فوجده في عينه افضل
مما صوره الوزير في نفسه ووجد به رسوماً وثيقة واثاراً اثرها
بعض من تقدم من ابايه فحشد اليه المهندسين والبنايين والعمار
وامرهم بالجد باكماله وبادر من فوره فنقل اليه خاص بيوت امواله
وخزاين سلاحه ونفايس ذخايره وحشد رعيته لحمل الارز اليه
فاودعوه من الارز المقشور وغير المقشور ما ظن ان فيه كفايه
وذلك لان الارز الذي لم يقشر طويل البقا واعد للنزول عدته
وهو مع ذلك يسد الثغور ويجند الاجناد ويبني الحصون فلما
مضت له ثلاثة اشهر من يوم كتب جواسيسه بحركة المرزبان وحشده
لاقدر تم ما اراده واما المرزبان فانه اقتحم ثغوره بالجيوش المتواترة

والفرق المتكاملة تظهر دعاة كسرى بتلك الارض والناحية فيمن
استفسدوه من رعيته فتقبلوا على ما يليهم من البلاد. واستعمل المرزبان
عليها عمالاً من ثقاة اصحابه ورتب فيها حماة من جنده. ومن اهلها
ثم دنى يطوي البلاد فواقعته جنود الاركن فدافعته بعض الدفاع
ثم انهزم من كان في نفسه دغل فانهزم ايضاً المناصحون بانهزامهم
واستولى على عسكرهم المرزبان واستبقى النفوس واخذ الاموال ثم تجاوزهم
يطوي المملكة طياً. وكان الاركن عندما اقتحم المرزبان ثغوره قد
بعث باهله وحشمه الى ذلك المعقل وجمع وجوه قاطنين حضرته فوعظهم
وذكرهم ما سلف من احسانه اليهم. وذكر ما بلغه عنهم من فساد الطاعة
وما كرهه من امتحانهم ومعاقبة المسيئين منهم فتنصلوا مما قذفوا به وحلفوا له
على استقامة الطاعة ومناصحتهم له. فقال لهم الملك اني لم اجمعكم لهذا
ولست بناكل عن عدوي ولا مستبعد للظفر به والنصر عليه ولم تمنعني تهمة
احد منكم غير اني اخبرني ونهاني بعض وزرائي عن ملك من سلفي انه
شرع في بنا معقل وعني به العناية فحال بينه وبين اتمامه اي المعقل
من اراد الانخال على عالم التركيب فحملني على تكملة ما شرع فيه جدي لان
ابر الملوك من تم به سعي سلفه واعظمهم في انقطع سعيهم عنده ثم اني احببت
ان اجعل ذلك الحصن من عدوي وذخايري لقول بعض الحكما
الحزم الدعاة قواعد لجميع قضايا العمل احكاما وقولهم يجب على الملك
ان يخلو من خمسة معاقل. احدها وزير صالح يتحصن برايه ثانيها

بسيف قاطع يتحصن بجميع اذا اقتحم ثالثها فرس نايوس سابق يتحصن
بظهره اذا لم يمكنه المغالبات رابعها امراة حسنة يحصن بها فرحه
وبعده خامسها قلعة منيعة يتحصن بعلوها اذا احيط بد فاخلى
هذا المعقل لتكمل حصول التحصن ونقلت اليه دخايري ومايكون على
فمن اراد منكم ان يقتدي بي في فعلي اخذ بالحزم فليفعل فلما فرغ من
مخاطبتهم اذن لهم بالخروج فخرجوا من عنده فاقتدي به منهم كل من كان ذا
عقل وخبرة فجهزوا الي ذلك اهاليهم واموالهم واما المرزبان سار في
تلك المملكة يطوي بها طي السجل لا يلقا ومه جيش الا هزمه حتي
اشرف علي حضرة الاركن فنزل علي فرسخ منه وتاهب للاقدام عليه
وقد كان الاركن امر الناس بالخروج اليه فخرجت امة عظيمة وخرج الاركن
في اربعة الاف مقاتل من شجعانه وخاصته وقام بهم في معزل عن
جيوشه ورعيته بظاهر المدينة وهي فيولدور تبصفوفر وكان في
المدينة داعيان من دعاة كسري فاغتنم الفرصة واهتبل عن خروج
الملك من المدينة وظهر واتبعه كل من كان اطاعه فثبتوا علي خليفة
الملك فقتلوه واستولوا علي المدينة وضبطوها وبينما الملك قايم
بجنده في ظاهر المدينة اتاه رسول الزمامه حافيا حاسرا يلطم وجهه
وينتف شعره فامر بحمله مصعد علي فيل واستخبره فاخبره بذهاب
ملكه وخيانة رعيته فانحاز الملك بخاصته ومن كان علي نصيحه
من طاعته وتوجهوا اخلفه نحو الحصن وانتهي خبره الي المرزبان فجد

حميته خيلا لا تباعد فادركوه فوقف باذيالهم من يكفيه امرهم وسار حتي دخل الحصن واما المرزبان فانه قصد المدينه فدخلها وضبطها واحكم امورها وسار في جيوشه الي ذلك الحصن فراي منظرا عجيبا رايعا ومعقلا ممنوعا مانعا ولم يمكنه النزول بالقرب منه فنكص علي عقبيه الي حيث امن ونزل في جيوشه متحفظا وكتب الي الملك الاركن كتابا يخاطبه فيه بالاعظام والاجلال ويعرض عليه خصلا منها ان يرده الي مملكته ملكا مامونا علي ان يتبري من طاعه كسري فلما انتهي رسول المرزبان الي الاركن حجبه ولم ياخذ كتابه وامر بالعود الي مرسله فيئس المرزبان منه وكان يقال صرفك البصر الي عدوك اضاعه واصغاوك السمع الي حديثه طاعه وكان يقال اذا امكنت عدوك من اذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والحصول في وهن كرمه وكان يقال عجبا لمن يصغي الي عدوه سمعا وهو لا يرجو عنده نفعا وكان يقال اذا عجزت عن التحصن من كلام عدوك فانت عن التحصن من كيده اعجز ثم ان المرزبان عاد الي المدينه وكتب الي كسري بالفتح وما تهيا له من الامور فكتب اليه كسري يامره ان يقيم بتلك المملكه ويترك التعرض الي الاركن في حصنه الا ان يبدو منه فساد وان يرسل اليه العيون وان يقيم المسالح في جهات حصنه ففعل المرزبان ما امره به كسري ولبث بتلك المدينه وجعل اعوانا الفرس يعبثون ويفسدون في تلك المملكه ويعاملون اهلها بالفظاظه والقسوه التي طبع الهند علي ضدها فدبت السخايم في النفوس

ودخلت اهل تلك المملكة الغيرة لما راوا ان خراج ارضهم يحمل الي
غيرها وينفق في غير اهلها وعرفوا فضل ما كانوا فيه وشقاء ما صاروا
اليه فبسطوا السنتهم وخاف المرزبان ان يردعهم عن القول فيستوحشوا منه
فكف عنهم فكان داعيًا الي زيادتهم في وسط الالسنة وكان يقال ايدي الرعية تبع
لالسنتها فاذا قدرت علي ان تقول قدرت علي ان تصول وكان يقال ترك نكير
الصغاير مدعاه الي فعل الكباير فاول نشوز المراه كلمه سومحت بها واول
حرن الدابة حبذة سوعدت عليها واما الاركي الهندي فانه لما استقر في حصنه شاور
وزراه فاشاروا عليه بالصبر وكف الاذي ولاحسان وتامين السبل واجارة
المستاجرين وتالف المتوحش والاخذ بالفضل واتخذ هذه الخصال شرعًا
يدين به فازدادت سمعته والقلوب اليه ميلاً والالسنه له شكرًا فاتفق ان عاملاً
للمرزبان علي ثغر من تلك الثغور اساء السيرة فقام اليه رجل فاضل اهل عمله فوعظه
ونصح له فكره العامل ذلك وكتب الي المرزبان يزعم ان رجلاً من اهل عمله يعارضه
في امره ويؤلب العامه عليه فكتب اليه المرزبان يامره بحمله اليه مقيدًا فاخذ العامل
الرجل فقيده وبعث به الي المرزبان مع رجال من الجند فتبعهم احداث من فتيان
ذلك الثغر فاتاهم فقتلوا وكيل الموكلين بذلك الرجل واطلقوه فاتي
الرجل العامل فاخبره بما فعل اوليك الاحداث وانه عجز عن دفعهم فامر
العامل فضربت عنقه وكان ذا منزلة عند اهل بلده فوثبوا علي العامل فقتلوه
وقتلوا اكثر رجاله وضبطوا ثغرهم وصار اليهم من كان علي مثل رايهم ومن
كان في غير حصن وكاتبوا من يليهم فاجابوهم الي مثل ما صنعوا وطردوا

وسط العمل

عمالهم فانتقضت الطاعة لكسرى في مواضع كثيرة من تلك الممالك في اسرع
ما فلما انتهى ذلك المرزبان جمع جنده وضبط من كان بحضرته على
حال وعزم على قتل رئيس الزمامة. وكتب الى كسرى بتسميته. وكان اهل حضرته
عند ما خرج رئيس الزمامة. وتوجه مع ملكهم الى حصنها اقاموا امكانه خليفة
وكان مرضيا عندهم فلما راى ما فيه المرزبان من الذعر والحيانة وقصده
من خافه بالمحنة والعقوبة دخل على المرزبان فقال له اني اريد ان
اسالك عن امر ظننت علمه عندك. قال له المرزبان قل. قال بلغني ان مما
اوصى به ازدشير بن بابك ملك بابل انه قال قد تخرج الرعية لعنف السياسة
الى ما لا تريد من المعصية. وقد قيل في وصيته ينبغي لمن تغلب على
مملكة وغصبها ربها ان يحفظ الصورة والشرطية التي تسلم تلك المملكة
عليها فانها تبقى له محفوظة عليه باقية في عقب سلمه وان غدر بشرط
فانها ربما تخرج من يديه عن ما صارت اليه. وقيل ان هذه الوصية
مكتوبة في مجلسه بازا سريره وموضع قضائه. ففهم المرزبان ما اراد رئيس الزمامة
الا انه احب الوقوف على اخر ما عنده. فقال له الامر كما بلغك ايها
الشيخ. فقال له رئيس الزمامة اذا كان الامر كما بلغني فمالك لم
تستعمل الحكمة الذي علمت وعنفت في سياسة الرعية عنفا
اخرجها اولعله يخرجها ولم تومن خروج هذه المملكة عن يديك
عن ما اصابك. فلما سمع المرزبان مقالة رئيس الزمامة انتهره وتهدده
وكان شيخا ضعيف البدن كبير السن فسقط مغشيا عليه الى الارض

وحمل الي منزله فمات بعد ايام فعظمت المصيبة لموته وساءت الحالة وسمحت
النفوس بالنفاق بما كانت منقبضة عنه وفشي ذلك في الرعية فنشوا
تا...ا فاحضر المرزبان وجوه من بحضرته فوعظهم وحذرهم بطش كسري
ورغبهم في عاقبته فارضوه بالسنتهم وتسللوا عنه وغلظ الامر اهل
الاطراف المنتقضة وشغل عنهم المرزبان بتحصين البيضة فبعثوا رسولا
الي الاركن الذي كان ملكهم يسالونه الصفح عنهم وان يبعث اليهم
رجلا يتحيزون اليه فاعطاهم امانا سنة واستعمل عليهم عاملا فالقوا
اليه المقاليد واستبصروا الطاعته ونصحوا في الذب عنه وانتظر المرزبان
الي ان بعث اليه جيشا كسري فبعث اليه فعادوا منهزمين مفلولين
فلم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه فحصن دار الملك واستخلف عليها
من ظن به انه يضبطها وخرج متوجها الي عدوه. فلما فصل عن المدينة
وثب اهلها باصحابه واستوعبوهم قتلا وتشريدا. واحرزوا مدينتهم
وبلغ ذلك المرزبان فاستمر لوجهه خارجا من تلك الممالك حتي قدم علي
كسري طريدا وعاد الاركن الي دار مملكته علي سنن العدل والاخذ بالحزم
وقمع الشهوات واستعمل الحكمة التي افادته التجارب اياها روضة رايقة
ورياضة فايقة بلغني ان امير المومنين عثمن بن عفان رض قال
لجلسايه وهو محصور زمن الفتن وددت لو ان رجلا صدوقا يخبرني
عن نفسي وعن هولاء يعني الذين حصروه فقام اليه شاب من الانصار
قال له انا اخبرك يا امير المومنين انك تطاطاتهم فركبوك. وتخادعت لهم

فلبوس

تسلبوك . وبما جعلتهم علي ظلمك لاحلمك فقال له صدقت اجلس . ثم قال له
هل علم نما اليك بما يثير الفتن قال نعم سالت عن هذا شيخا من تنوخ كان
باقعه قد تعصب في البلاد وتعلم علوما جما فقال لي ان الفتنة يثيرها امران
احدهما اثره تضغن الخاصه ثانيهما حلم يجري لعامة فقال له عثمن رض فهل سالته
عما يخمدها قال نعم قال لي ان الذي يخمد الفتن في ابتدايها استقالة العثرة وتعميم
الخاصة بالاثره . واذا استحكمت الفتنة فليس لها الا الازمة يعني الصبر فقال عثمن رض
نصبر حتي يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين تفسير هذه الالفاظ التي
اشتمل عليها هذا الخبر قوله باقعه اي داهيه يجوب يقال فلان باقعة البقاع اي
طاف بقاع الارض من بقع الارض وقوله الاثرة اي اختصاص بعض اصحابه دون
بعض قوله العامة اي والخاصة وقوله تضغن اي تحقد والضغن الحقد
والازم الصبر وحقيقته الامساك علي الاساءة قال محمد عفي الله عنه هذا الحديث
يحو الحي اذكر . ان بعض ملوك الفرس يزدجرد بن بهرام جور سال حكيما من
الفلاسفه . ما صلاح الملك قال الرفق بالرعيه . واخذ الحق منها بغير عنف
والتودد بالعدل . وامن السبل . وانصاف المظلوم قال فما صلاح الملك
قال وزراوه اذا اصلحوا هم صلح الملك قال يزدجرد ايها الفيلسوف ان الناس
قد اكثروا في الفتن فصف لنا ما يثيرها وما يسكنها اذا ثارت فقال يظهرها
جراة العامة . ويوليدها استخفاف خاصته به . ويوكدها انبساط الالسن بضماير
القلوب واشفاق موسر . وامن معسر . وغفلة بليد . ويقظة محروم . فقال
يزدجرد ما الذي يسكنها ايها الفاضل قال يسكنها ايها الملك اخذ العدة لما

وايثار الجد حين يلتذ الهزل والحزم والادراع بالصبر والرضي عند القضاه

السلوانة الرابعة

وهي سلوانة الرضي

قال ربنا تقدس اسمه عايبا من سخط حكمته وتدبيره وسخط قسمته وتقديره فان يعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ثم نبههم على ما حرموه من فضيلة الرضي بقوله عز من قايل ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون و وصف صفوته من خليقته بالرضي فقال رضي الله عنهم ورضوا عنه. مما يفهمك معني رضي الله عنهم ورضوا عنه. ما روي ان موسي عم قال الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت به عني فاوحي الله عز وجل اليه انك لا تطيق ذلك. فخر موسي ساجدا متضرعا الي الله سبحانه فاوحي الله اليه عز وجل اليه يا ابن عمران رضاي في رضاك بقضاي. خبر نبوي مما رويناه ان النبي صلعم قال اللهم اني اسالك الرضي بعد القضاء قيل اما تاكيد بعد القضا لان الرضي قبل القضا انما هو عبارة عن العزم على الرضي وتوطين النفس على الرضي بالقضا اذا نزل وانما يتحقق الرضي بالقضا بعد حلول القضا خبر نبوي في مثل ذلك مما رويناه ان النبي صلعم لقي رجلا من اصحابه قد اجهده المرض والحاجة فانكره النبي صلعم وقال له ما الذي بلغ بك ما اري قال المرض والحاجة يا رسول الله

فخ

فقال له افلا اعلمك كلاماً ان قلته اذهب الله عنك المرض فقال والذي بعثك بالحق بشيراً ما يسرني بحظي منها اني شهدت معك بدراً والحديبية . فقال رضه قال رسول صلعم وهل لاهل بدر والحديبية ما للقانع الراضي . منثور ومنظوم في حكم الرضي

روي ان [عمر] رضه كتب الي ابي موسى الاشعري اما بعد فان الخير كله في الرضي وان استطعت ان لا ترضى فاصبر اعلم رحمك الله ان الرضى هو ترك الاقتراح علي العالم بالصلاح اذ كان القدر حقاً كان سخطه حمقاً من رضي حظه من ترك الاقتراح افلح واستراح اني بالرضي عاملاً قبل ان تكون له معمولاً . وقيل للحسن البصري من اين اتي الخلق السوء فقال من قلة الرضي عن الله فقيل له من اين قل رضاهم فقال من قلة المعرفة بالله

ومما قلت في الرضي والتسليم للقضا

يا مفزعي فيما يجي		وراحمي فيما مضى	
عندي لما تقضيه ما		يرضيك من حسن الرضى	
ومن القطيعة استعيذ		مصرحاً ومعرضا	

وللمعري في هذا المعنى ايضاً

كن من صدود كاء الحليم		علا وجل علي وجل	
وارض القضا فانه		حتم اجل له اجل	

ومما قلت في هذا فاصنع يا هذا

يا من يري حالي وان ليس لي	في غير ما يرضيه اوطار
وليس لي ملتجا دونه	ولا عليه لي انصار
حاشا لذاك الفضل والعزان	يهلك من انت له جار
فان تشا هلكي فيا مرحبا	بكل ما تشا وتختار
كل عذاب منك مستعذب	ما لم يكن فقدك والنار

ايضا لبعض الفضلا

اذا انا لم ادفع قضا كريهة	سوي سخطي له وتبرمي
فصبر له من حسن معرفتي به	كان رضواني له من تكرمي

روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل ان يزدجرد الاثيم بن سابور ذو الاكتاف لما ولد له ابنه بهرام جور اخبره منجموه بغرة مولده وسعادته ومصير الملك اليه بعد شدة ومحنة وطول اغتراب وانه ينشا بين امة نابئة ذات همم وهمم علية وحلوم زكية ونفوس ابية وبهم يصير الملك اليه فاجال يزدجرد فكره في خصايص الامم ومزاياها فراي ان العرب واجل الامم بتلك الاخلاق التي وصف له المنجمون ووقع اختياره عليهم فكتب الي النعمان الاكبر بن المنذر بن عدي بن نصر فاستحضره واشخص اليه جماعة من روسا العرب وساداتهم فوصلهم وبرهم واخبرهم بما يريد من تملك النعمان عليهم فانهوا له بذلك تشرف النعمان وتوجه وملكه على العرب وسلم اليه ابنه

بهرام جور وامره بكفالة ابنه. فاسترضع له النعمان اربع نسوة صحيحات
الاجسام ذكيات الافهام. سميات الاعراق سريات لاعراق. امراتين من
العرب وامراتين من الفرس. واجرى عليهن ما يصلحهن. وبنى له الخورنق
لما اتفق عليه من طيب هوائه. وفضيلة مائه. فارضع المرضعات بهرام اربعة
اعوام. ثم فصلنه وقد صار غلاما جفر السرعة بشبابه. ولما استكمل بهرام من
العمر خمسة اعوام قال للنعمان انظر لي تعليمي ما تحتاج اليه الملوك من
العلوم. فجرت بينهما المحاورة. قد اودعنها كتابي المسمى درر الغرب المضمن
ابنا نخبا الادبا. فكتب النعمان الى يزدجرد يساله ان ينفذ الى ابنه رجالا
من حكما الفرس وفقهائها ومعلمي كتابهم. فارسل اليه يزدجرد بحاجته
منهم ثم ان النعمن ضم الى بهرام رجلا من علما العرب وحلمائها ودهاتها
وكان ذا بصيرة بالسياسة. وخبرة بالمكايدات. واكثر اللغات وحفظ الاخبار
الملوكية وسيرها. ومعرفة بايام العرب وغيرها. وكان اسمه جلسا
فادب بهرام كل واحد من معلميه ما عنده من العلم فلما استكمل من بهرام
اثنى عشر سنه فاق معلميه كلهم فاعترفوا بفضله عليهم. واستغنائه عنهم
فصرفهم النعمان مكرمين. وكره بهرام مفارقة جلس لكونه يجد عنده من
المحاسن والادب والسياسه والاخبار ما لم يره من غيره مجتمعا واستدعى
النعمن من يزدجرد من يعلم ولده الرماية والفروسية ما يحتاج اليه
المحارب. فبعث اليه يزدجرد ممن يعلم ولده الرماية. فاقاموا عند النعمان
ثلاث سنين واستفاد بهرام ما عندهم جميعا من ذلك وصرفهم مكرمين

وامسكه عنده جليسا لشغفه به ولما استوفي من العمر خمسة عشر سنة اذ تاد فاستاذن النعمن علي يزدجرد في القدوم عليه بولده فاذن له في ذلك فوفد النعمن علي يزدجرد بولده بهرام ووفد معه روساء العرب وزعماوها فاحسن يزدجرد ووفادتهم واكرم نزلهم واجزل صلته النعمن وضاعف تشريفه وسرحه وجمع ابنه بهرام عنده واجلس بهرام جليسا عنده لعلوق نفسه به وكان يزدجرد فظا غليظا شديد الكبر غليظ الحجاب مجتريا علي سفك الدما واغتصاب الاموال ولذلك سمي الاثيم فعامل ابنه بهرام جود بالقسوة التي طبع عليها واتعبه وكده واستعمله علي شرابه فتبرم بهرام بما ناله من ابيه وعيل صبره وضاق ذرعه فشكي ذلك الي جلس فرق جلس لشكواه ثم اقبل عليه فقال ايها الامير حلي الله كريك واعلي كعبك واطاب قلوب الام ذكرك وافواهها وكتب لعزك ملوك العرب والعجم بجباهها ان اولي الناس بامحاض النصح من كان معروفا بها وبند وبالها ومدعوا اليها ومحفوظا عليها وانه كان يقال اذا كانت النصايح بشعة المبادي حلوة العواقب كالادوية يسوء استعمالها ويسر مالها ويزم غبها ويمدح عقبها وكان يقال الامين يصحب الملوك بالداب علي الحزمة والمبالغة في النصيحة والخاين يصحب الملوك بحسب المداراة وافراط التذلل وكان يقال انما يسعد النصحا بالملك اذا كان مويدا بفضيلة العقل فان لم يكن كذلك شقي به النصحا وسعد به ذو والملق وهذا لان الناصح ينفق علي من نصح له من عقله وبالعقل يدرك العقل وكان يقال اشد اللوم ان تغر بالنصح لمن سمح لك بالثقة وان تستتر

الصواب عن من هيك لك بحجاب سره وكان يقال اولي النصحا القبال
بقبولك منه واقبالك عليه من كانت سعادتك شرطا في سعادته
وعلة لها. ومن منه كنت بهذه المنزلة تسعيه لك سعيه لنفسه ودب لك
دب لنفسه ثم قال جلس لبهرام انه قد شاني بهرام ابن الملك. وانا اشير علي ابن
الملك باظهار المسرة للملك اذ كان الملك استعمله علي عمل لا بد للعامل فيه من
اظهار اللطف والطلاقة لان من صحب الملوك بما لا يوافقها تحركت عليه
بالعطب. ولا ينبغي مع هذا ان يظهر من ذلك ما يبطن خلافه. فان الريا
ينصل عن الطبع. نصول الخضاب عن الشعر ولكن ليتامل ابن الملك القضيه
التي تركها بعين العدل يظهر له حسنا وذلك ان الملك استعمله علي شرابه
الذي هو جامع لذته. وجالب طربه ومسرته. وراحة نفسه من نصب التدبير
ومشقته. ووكل اليه مع هذا حراسة مهجته. ورضيه لحفظها في مجالس
خلوته. وركن اليه ووثق بكفايته. في صون شرابه من بلية او آفة
يقصده بها اعداوه من جهة الشراب. او خلل يدخله السكر علي عقله
والاضطراب. او ينالها من مكايد اهل الحسد او بعض اهل الارتياب.
وكيف يصلح ان يعدل عن الولد الحبيب النجيب هذا العمل العلي الاكبر قدره
العظيم خطره. ام كيف تطيب نفس الولد الفاضل ان يري اباه صار فا
بهذا العمل الي سواه. فليصرف ابن الملك فكره الي ما ذكرته له ليكون
ما يظهره من الغبطة بهذه الخصلة راجعا الي عقد يوافقه. ومضي يطابقه
ولا يتخلق من ذلك بما يتمنى رفضه ويلزم منه ما يحب بغضه.

فيتم عليه توسم الابصار وتكهن الانكار وكان يقال كم ياراب يخدع
الفطن القاصرة ولا يخفى على البصاير الناظرة وكان يقال انما ينبسط سلطان
الريا على السمع والبصر اللذين هما يريكان الشهادة دون كعيب وابما
العقل فلا ينبسط عليه الريا لان الاول الاحد قد كان بكثير من كعيب
لاختصاصه اياه ثم قال جلس والدب قد فطن على بلادتد ريا القرد
عليه فقال بهرام اخبرني عن ذلك فقال جليس ذكران دبا كان يسرح
في غيضه ذات اشجار متزم وكان في تلك الغيضه قرود فكان الدب يرا
قوتها على رقي الشجر والتطرف باغصانها وتمكنها اطايب الثمر التمر..
فحدث نفسه بان يصيد قردا منها ويكلفه ان يجتني له اطايب التمر فقصد
شجرة هناك والقي نفسه بها والقرده تنظر اليه وجعل يتضرر ويتخبط
طويلا ثم تماوت فنحفت وفتح فاه واخفي نفسه واجتمعت القرده حوليه
فقال لهم حازم منها لا يبعد من ان يكون هذا الدب متصنعا خادعا
وان الحزم ان نجتنب ونحذر فان لم يكن بد من الدنو منه فهلم نجمع حطبا
ونلقيه حوله ونضرم فيه نارا. فان كان متصنعا افتضح. وان كان ميتا
فلا ضرر علينا في احراقه وانه كان يقال عدو الضد لدود وحكم الضدين
التنائي والتباعد والتنافر والتباين والتدابر وكان يقال لا تطا
ارضا وطيها عدو لك الا على توقي واحتراس ولا يفارك خرجه منها
وصده عنها فربما رتب فيها شباكا ونصب لك فيها شركا وكان
يقال لا تلقي عدو لك الا مسلحا متحذرا متحفظا ولا يفارك استسلامه

والقاوه

والقاوه السلاح فما كل سلاح يدرك بالبصر وقد غر الراهب اللص بتلك للاقة لعليه ما اراد فقالت القرده اخبرنا عن ذلك فقال القرد
ذكران راهبًا من الرهبان كان فاضلاً . وكان مبتلاً في قلاية بظاهر اللاذقيه وكان شيخًا فانيًا قد نهكته العبادة وكانت النصارى
يختصونه بالصدقات يقبلها ويعطيها اهل الفاقه لزهده في الدنيا وان لصًا من اللصوص راي كثرة ما يختص به ذلك الراهب
من الصدقات فحدث نفسه ان يتسور علي قلايته وظن ان الذي يصيب عنده كثيرًا فتحيل ليله من الليالي حتي تسور القلايه وحصل مع
الراهب في بيت تعبده فوجده قايمًا يصلي والسراج في البيت فصاح به اللص استاسر ايها الراهب قبل ان القي عنك راسك
فالتفت الراهب فراي اللص فاذا هو شاب شديد البنيه في يده سيف مشهور فعلم ان لا قبل له به فقطع صلاته وفر بين يديه ومن
بين يدي اللص الي ناحيه من البيت في حايطها طاق فادخل راسه في الطاق ورده الي خلفه كما يصنع المكتوف فلما راي
اللص ان الراهب قد سلم وخبا راسه والقي سيفه فوثب نحو الراهب ليقبض عليه فانخسف به ما تحته وسقط في له هليز سقوطا اوهنه
فمكث علي حاله لا يجد محيصًا عن الخروج من الموضع الذي حصل به حتي اصبح فدل الراهب عليه فاخذ وصلب وقد كان الراهب اتخذ نقبًا في
طريق الطاق وجعل ينقلب في لولب اذا اعتمد عليه وغطاه ببعض

وبين بيت فلما قصد الى الطاق هاربا بين يدي اللص خطر في ذلك الموضع
وتخطاه لمعرفته بموضعه فلم يضع رجله على الطبق واللص لم يعرف ذلك
ولا استعمل الحزم بالتحفظ بل عول على ما ظهر له من استسلام الواهب ولم
يدر انه قد اعد له سلاحا لم يدركه البصر فلما سمعت القردة المثل
الذي ضربه لها حازمها توقفت عن الاقدام على الدب. وانتشرت
تجمع الحطب لاحراقه فاتى غر من القردة لم يكن حاضر ذلك الموضع
ولا سمع مقالة الحازم فدنا من الدب واصغى باذنه الى انفه
ليسمع حس نفسه فقبض الدب عليه وعمد الى عرق من عروق الخيزران
فربط طرفه في وسطه وكلف القرد ان يصعد الشجر فيجني له اطايب التمر
والقاه اليه والدب ممسك بالطرف الاخر من الخيزران فلبث القرد
بذلك بقية يومه ثم انصرف به الدب الى غار فادخله فيه وسد على
بابه بصخرة هناك فلما اصبح غدا على القرد فاخرجه من الغار وانطلق
به الى الغيضة فجنى له التمر عامة نهاره ثم راح به الى الغار فسجنه فيه
فلبث بذلك دهرا والدب قد بلغ مناه والقرد متحير في اسوء حال واعظم
شقة نهاره في خدمة الدب. وليله في سجنه وكان يقال انما
صار يسير المونة المتحملة للعدو شاقة. لان الارواح يحتمل منها
اضعاف ما تحمل الابدان. ليصير البلا عاما وليس كذلك المونة المتحملة
الى الحبيب لان الارواح تتلذذ وتستخدم الابدان لها. وكان يقال
من تعرض لما لا يعنيه وقع فيما يعنيه وكان يقال [illegible] شهوات

لما قل من وراء فكرته، فاذا انبعثت له شهوته مرة بفكره نظر في
مباديها وعواقبها وتدبرها بحكم الراي وفكرت الاحمق من ورا
شهوته فاذا انبعثت له شهوته مرت نافذة لوجهها لا يصد هاشي
قيل ثم ان القرد تفكر في حاله فظهر له ان النصح في خدمته تمنعه من الخلاص
منه فندم علي نصحه في خدمة الدب وعلم انه لن ينجيه منه الا الحيله فطالت
فكرته في ذلك الي ان اجد له وجه الحيله فيه وكان يقال اذا كان المملوك
ميت الشهوة بليد الفكر رذل الهمه فهو سالم لمالكه، وان لم يكن
بهذه الصفات فان له فيه شريكا هو املك به من سيده وذلك انه
اذا كان متحرك الشهوة كان منقادا الي شهوته وطاعتها واذا
صحت فكرته اعملها في طلب الراحة من النصب والخلاص من الاسر واقامة
الحجه في الدفع عن نفسه، واذا سمت همته اتصف بالغضب والانفة وتدبير
ما يدبر بما لا يريده سيده قيل وكان مما عول عليه القرد في الخديعة
للقرد للدب ان يتظاهر له بضعف البصر فصار يلقي للدب من الثمر
ما لا خير فيه المسوسة والمدودة والمخة فزجره الدب عن صنعه فلم
ينزجر وضربه فلم يرتدع فلما طال عليه عصيانه قال له اني سمعت من
زجرك وضربك وقد حدثتني نفسي باكلك لانه لم يبق لي فيك منتفع
وكان يقال اذا لم تجد من الخدمة لامن ساء ادبه فاخدم نفسك
ولا تستخدمه لانه يحمل علي نفسك من المشقة اضعاف ما يحمل عن بدنك
فقال القرد اني لست علي ما تصفني به من سوء الادب ولو قتلتني لندمت

كما ندم الطحان حين قتل حماره فقال له الدب اخبرني عن ذلك **فقال القرد حكي**
ان طحانا كان له حمار نصيحًا يستقي به بالطحن عليه وكانت له زوجة سوء
يحبها وتبغضه وهي تحب جارًا لها وذلك الجار يبغضها ويمتنع منها وكان
الطحان رأي في منامه قايلاً يقول احفر في موضع كذا مدار الطاحونه
تجد كنزًا فحدث امراته برؤياه وامرها بكتمانه **وكان يقال** من زعم
انه يجد راحة في انشاء سره الي غيره فلا تلم عقله لان مشقة الابدا
بالسر وترك المشاركة فيه فهو اقل من يواخذ بكذبي اذاعه **وكان**
يقال امران يسلبان الحكما الحرية قبول البر وانشاء السر وشرح
هذا ان من قبلت بره فقد وجبت علي نفسك الخضوع له والاحسان
برق الانسان وكذلك من اطلعته علي سرك فان حذرك من
افشايه يلزمك الذل له **وكان يقال** المراة مؤهلة لبيت تقمه
وطعام تدمه وولد تربيه ومنزل تديره وشيق تسكنه فمن اشركها
في امره واطلعها علي سره التحق بعالمها اذ ليس في قواها لها الالحاق
بعالمه **قيل** فلما اخبر الطحان امراته برؤياه اخبرت به جارها الذي
تهواه وتقربت بها من قلبه فواعدها ان يطرق الموضع ليلا ليتعاونا
علي حفره ففعلت ذلك فوجد الكنز فاستخرجاه فقال لجار المراة كيف
نصنع بهذا المال **فقالت** المراه نقسمه نصفين بالسوا كل واحد منا
ينطلق به الي منزله وتفارق انت زوجتك واحتال انا في فراق
زوجي ثم تتزوجني فاذا اجتمعنا علي النكاح جمعنا المال بايدينا

فقال لها جارها اني اخاف ان اطيعك تتزوجي غيري وانه كان

يقال الذهب في الموضع كالشمس في العالم وكان يقال ينبغي من

اليسار ما فوق قدره تنكر لمعارفه وكان يقال اليسار مفسدة للنسا

لغلبة شهواتهن على عقولهن وكان يقال لا تسمح لولدك و لا

لامراتك ولا لخادمك بما فوق الكفايه فان طاعتهم لك بقدر

حاجتهم اليك ثم قال لها بل الراي ان يكون المال عندي جملة

لتحرصي على التخلص من زوجك واللحاق بي فقالت له المراة اني اخاف

منك مثل الذي خفت مني ولست مسلمة لك حظي من هذا المال

فلا تحسدني على حظي منه وقد اتيتك بالدلاله عليه وكان يقال

انما صار العدل والانصاف مشكورين عليهما لفساد الزمن لان الشكر

انما يجب لمن تفضل بحق هوله فاما من اعطى الحق اهله فهو محمود لا

مشكور فلما سمع مقالتها دعاه الحسد والبغي والشره والحذر من

غيمتها على ان اداه ذلك الى قتلها ثم قتلها والقاها في موضع الكنز وبعثه

الصبح فاعجله عن مواراتها واحتمل المال وخرج ودخل الطحان على

اثره فربط حماره في الدار وصاح به فمشى الحمار خطوات ثم اعترضه الحفيرة

والقتل بين يديه فوقف فضربه الطحان ولا يدري ما بين يديه ضربا

بالغا وهو ينافر ولا يمكنه التقدم والطحان لا يدري ما بين يديه فاخذ

سكينا ونخسه نخسات كثيره ثم استشاط غضبه فطعنه بها على خاصرته

فمات ولما انتشر الضوء راى الطحان الحفيرة ووجد امراته فيه قتيله

فاستخرجها فراي اثار الكنز فاستد اسفه علي ذهاب الكنز وهلاك المراة والحمار فقتل
نفسه فلما سمع الدب مقالة كرد فقال للقرد ظهر لي ما ضربت من المثل
عند الحمار فما عند ذلك انت فقال له القرد ان بصري ضعف واخاف
ان يذهب بالجملة فان رايت ان تنظر في امري وصلاح بصري فذلك
بيدك فقال الدب من لي بصلاح بصرك فان فيه صلاحي فقال
القرد ان الاطبا كثير ولكن العاقل لا يستطب لا لمد من لم يكن من عالمه
وان للقردة بهذه الارض طبيبا تصفه باجادة العتيا وكزهد في
متاع كرنيا واني لاستروح العافية من لقائه واني استلوح الفرج
من لقائه فاجاب الدب الي ما اراد فقصد به قردا كان موصوفا بالخبث
والدها فلما بلغا اليه فر من الدب فصعد شجرة واقام الدب تحتها فقص
عليه علته ورغب ليه في مداواته فقال القرد الخبيث دعه حتي يطلع الي عندي
حتي انظر الي عينيه فارخي ليه من الخيزرانه فصعد ليه وجعل الخبيث يتامل عينيه
ويساله عن خبره فقص عليه خبره مع الدب وساله ان يفتح له باب المكيدة في الخلاص
من يديه فقال الحرح له القرد اني سا حمله علي السهر فاحتمل لنفسك الفرصة اذا نام
وكن علي حذر من ان يتناوم ليختبرك ثم امره بالنزول فنزل واقبل القرد الخبيث علي
الدب فقال ينبغي ان اعرفك داء عينيك هذا ثم ادلك علي دوايه اذ يستحيل العلم
بالدوا من الجاهل بالداء اعلم ان القردة انما صحت جسومها وقلت لحومها و
توقدت فطنها وفهومها لانها وفرت علي السهر دواعيها وجعلت ليلها حظا من
مساعيها وانه كان يقال كثرة النوم تجلب الدمار وتسلب الاعمار وكان يقال

من لزم الرقاد حرم المراد وكان يقال لا يصح ان يقال في الجود انه سماحة
النفس بالنفس ولو صح هذا لكان اكثر جود الاجواد من كثر نوبه لانه سمح
بحياته حتى لا يجد لها كفوا ولا يصيب منها عوضا فقال القرد الخبيث للدب
انك لما اخرجت عبدك هذا عما اعتاده ادخلت عليه الفساد كما صنع بالطاير
الذي صيد لابنة الملك فقال له الدب اخبرني عن ذلك فقال له القرد
ذكروا ان ملكا من ملوك اليونانيين كان له ابنة تكرم عليه جدا
فهاجت بها مرة السوداء فادخلت عليها انواعا من الامراض وبلغ بها الامر
الى الامتناع من الغذاء والدواء فامر طبيبها بان تنقل الى ارتفاع تشرف منه
على بساتين مورقة مونقة وماء جار ففعل ذلك بها فرات في اليوم الذي
نقلت فيه الى ذلك المكان طايرا فيه من كل لون حسن قد نزل على دالية
فاكل من عنبها ثم غرد تغريدا عجيبا بانواع النغم المطربة قال فارتاضت الجارية
لما رات وسمعت من الطاير فاستدعت غذا وكان يقال افضل النغمات
المطربة ما سُمع من محصورة الحشا لانه تحرك الشهوة المطربة فتظافر القوتان
ويفعلان فعل الادوية المركبة فانها انجع من الادوية المفردة واشد
فعلا ثم قيل ان ذلك اسرع الذهاب ولم يعد يومه ذلك فظهر على
ابنة الملك القلق ولما كان الغد عاود الطاير الى الدالية في مثل وقته
بالامس فسرت ابنة الملك بعودته فاستبشرت وارتاحت واكلت
وشربت وانصرف الطاير في يومه كما انصرف في امسه فعاودها
القلق لغيبته وبلغ ذلك الملك خبرها في ذلك فامر باصطيا

ذلك الطاير فاصطيد وجعل في قفص واتحف بجنة به فاشتد سرورها واغتبطت وتراوت ورأي كطبيب نتعاش قواها فعالجها فطمع في سلامتها ولم يعلم بامرها مع الطاير وان ذلك كطاير لبث عندها اياما لا يصوت ولا يطعم شيا واخذ حسنه في التغير فعادت الجارية الي اسوء حال وجعلت تذوب لما نالها من الاهتمام بامر الطاير مضافا الي مرضها وعلم بذلك ابوها فندم علي اصطياد كطاير

وكان يقال لا تكن تلميذ المن سارع وبادر عن الاجوبة في المسايل قبل ان يتدبرها ويتفكر فيما يتفرع عنه ويعد لدفع ما يمكن ان يتعرض به علي جوابه ويلزمه خصمه من المناقضة لاصوله كما انك لا تستشير الفرس الذي لا يتجاوز مبادي الامور الي عواقبها ولكن كن تلميذا لمن يتفكر في الاواخر قبل ان يجيب من الاوايل كما تشاور المحتنك المتدبر لبطون الامور وظهورها المطلع علي مباديها وعواقبها

قيل فلما علم الطبيب بما انتقل اليه حال الجارية من الفساد عرف ان ذلك لعارض طري عليها فبحث عنه واطلع علي قصتها مع الطاير فامر ان ينصب شباكا محيطة بالبستان علوا وسفلا نصنع ذلك عليها اشار به ثم اطلق الطاير في البستان فلما رجع الطاير الي ما اعتاده والفه رجعت صحته وحسنه وعاود تغريده . فصلح حال الجارية وبرات من مرضها

قيل فلما قضي كقرد كلامه وما ضربه من المثل قال له القرد قد

سمعت مقالتك ووعيت الحكمة فاصف لي ما فيه مصلحة عبدك هذا واطيع
امرك فقال له القرد اني امرك ان تتاخر في مسرحك جزًا من الليل فان
ذلك زيادة في عمرك وطعمتك ونعمتك ومهيجًا لنشاطك وانبساطك
ومضاعفًا للذة منامك ومساعفًا بمصلحة غلامك فشكره الدب علي نصيحته
وانطلق بصيده الي مسرحه فاجتني له نهاره اطايب الثمر فلما جاء الليل اظهر
القرد نشاطًا ومرحا واجتني اضعاف ما يجتنيه بالنهار ثمرات طيبات فلبث كذلك
صدرًا من الليل ثم انكفي به الدب الي المغارة ثم سجنه بها وغدا عليه كعادته
ولبث القرد ايامًا يتظاهر اذا جاء الليل بقوة البصر ويجتني للدب اطايب الثمر
علي حال تدريج والدب لم تسكن نفسه الي كثقته الي القرد بل يتيقن عليه
بانه مراي متصنع عارف بخارفه وخلاعه وكلما يزيد كم[؟] القرد من تصنعه
يزيد الدب من الريبة وانه ليلة من الليالي اراد الانصراف الي ماواه فجعل
القرد يماطله ويقول ههنا ثمرات طيبات فيتاخر لما طبع عليه من النزق والتهمة
وكانت ليلة مقمرة فحدث نفسه بان يتناوم ليختبر القرد ويمحن ظنه به فتناوم
وجعل يخط ويغط فما كذب كم[؟] القرد الخبر ان فوثب هاربًا فجذبه الدب بالخيزرانة
جذبة شديدة فانقطع ظهره وهلك قيل فلما سمع بهرام غاية هذا المثل
الذي ضربه له جلس امسك عن القول فقال له بهرام ما ابهجني بقربك
واقر عيني بما تفيدني من حكمك وتضربه لي من الامثال وتجلوه علي من ملحك
ولئن بقيت الي ان تدول لي دولة لاجعلنك اول داخل علي واخر خارج
عني وسا روض نفسي باداب هذه كلها متيمنًا بانك فسجد له جلس ودعي

لانبجح الامل ثم ان بهرام جور شهد والده في ليلة من الليالي سرور وقد
تصدي النوادب بين يديه بمثل الزرابي المتحملة والتيجان المجوهرة المرصعة
فتذكر بهرام جور ايامه عند النعمن وانتجاعه الرياض الانيقة وتشببه فيها
علي الازاهير المطلولة التي ماكان ينعم به من مباكرة الوحوش في معالمها وكاينه
في موارد ها والتفكه بطرادها واصطيادها فاطرق واستولت عليه الفكرة فجبس
وتنفس الصعدا وابوه يزدجرد يسارقه النظر ثم انه استفاق لنظرابيه
وعلم انه مراي منه فاسقط في يده ولم تمض الاّ ساعة الا وقبض الملك بشره
ونكس راسه فنهض كل من بحضرته من ندمايه وسماره وكانت عادة
الملوك الفرس ذلك اذا عبس الملك منهم واطرق لم يبق بحضرته احدًا
الا استوي قايمًا علي حال خشية وسكون وكان ليزدجرد مضحك ظريف
اللسان لطيف الفطنة حسن الانتزاع جيد البديهة حلو النادرة قد حضر
ذلك المقام وفطن للامر الذي تنكر له الملك وان ذلك لما كان من عبوس
واطراقه في مجلس المسرة فحدث ذلك المضحك نفسه بان يحسن الي بهرام
ويصطنع عنده يدًا فتحيل لذ بحيلة يخلصه بها من غضب الملك وبينما
هو يناجي نفسه بالحيلة اذ رفع الملك راسه الي المضحك فنظر اليه كانه
يحركه الي ان يصنع شيئا فيه سلوة فسجد له المضحك ثم جثي علي ركبتيه
وقال ان العبد الذليل يستاذن الجليل ان يخبره عن نفسه بخبر عجيب فنظر
اليه بهرام كالاذن له فقال المضحك اني العبد الحقير الذليل كنت في
حداثة السن كلفا بالنسا مفرط التبق الهن الا انه لم اكن مملوكًا وكان

كلما استحسن امراة هام بها وتهالك في حبها وكان يقال من اتبع لحظه هواه

ادحضه واهواه. وكان يقال كن من عينيك على حذر فرب جموح حين جني

جموح عين وكان يقال ما احرى الملول بان يحرم المامول وكان

يقال السامة من اخلاق العامة لا من اخلاق السادة وكان يقال

التنقل من خلة الى خلة كالتنقل من ملة الى ملة ثم قال المضحك وان كعبد دخل

الى بلاد السند فبينما هو يطوف في بعض مدنهم راى امراة لم يرَ قبلها مثلها في

حسن الصورة وامتداد القامة ورشقات الحركات ولباقة الاشارات وسحر

الطرف وتالف الظرف فتبعها العبد وهو لا يرى موضع قدميه من الدهش

حتى بلغت منزلها فدخلته ولزم العبد باب منزلها البلا ونهاراً فارسلت تستعفيه

من لزوم بابها وتحذره سطوة اهلها فبكى العبد الى رسولها ما يلقاه من الشغف

بها واعلم الرسول ان لا مصرف له من بابها وانه مستميت في اطلابها فلهت عن

العبد مدة ثم اعادت الرسول اليه فرده العبد بمثل كلامه الاول فارسلت

الى العبد تقول اني اظن بك الملل والغدر ولولا ذلك لسارعت الى مساعدتك

واني متزوجتك بشرط الوفا فان غدرت بك لك على الجزا وان غدرت

بي هلكتك بعد ان انكل بك نكالاً عنيفا يضرب به المثل فان التزمت هذا

هذا الشرط فاقدم والا فانج بنفسك قبل ان يتعذر عليك الخلاص وكان يقال

اربعة ترتفع عنهم الرحمة اذا نزل المكروه من كذب طبيبه فيما يصف له من

دايه ومن تعاطى ما لا يستقل باعبايه ومن بذر ماله في لذاته ومن قدم

على ما حدث من افاته وكان يقال من بصرك فقد نصرك ومن عظك

فقد ايقظك وكان يقال من اوضح بين فقد نصح وزين ومن حذر
وبصر فما غدر ولا قصر قال المضحك فالتزم العبد الشرط واعطى من نفسه
المواثيق على الوفا فتزوج العبد المراة وبلغ منها امنيته فلبث معها مدة
فزارها تزب لها فلحمها العبد فاعجبته ومالت نفسه اليها فتبعها العبد
الى منزلها وجعل يراسلها ويلازم بابها فتبرمت منه وشكته الى امراته
فعاتبته على امراته على ذلك وزجرته واذكرته العهود ونهته فازداد
العبد لجاجا فلما رات ذلك منه سحرته فصار اسود اللون مشوه الوجه
وجعلت تستخدمه في كل مهنة بما يشغله ما هو فيه الى ان هوى امة
سوداء الجمل يتبعها في تصرفها ويتعلق بها ويوذيها فلما اكثر على الامة
شكته الى امراته الذي سحرته وكان يقال انما كان طبع المطبوع املك به
من ادب المودب لان الطبع اصلي وتمده القوي الناشية معه فهو املك
بالنفس التي هي محله لا سلطانه اياها وكثرة اعوانها والاطار على المحل
غريب عنها وكان يقال افضل المودبين شيئا من رام من المتادب ان يماو
على نفي طبعه عنه وكيف وطبعه اولي به واقرب اليه واثر عنده من مودبه
لكن المودب الماهر من طالب المتادب ستر المذموم من طباعه وتعميته
والتورية عنه قال المضحك فلما بلغ امراة العبد ما كان منه اشتد
غيظها عليه ثم سحرته فصار حمارا تكريه ممن يستعمله في اشق الاعمال وتحمله
ثقل الاحمال فلبث بذلك مدة طويلة ولم يشغله ما هو فيه من البلاء عن ان
هوى اتانا فاشتد شغفه بها فكان كلما راها نهق وطلبها اشد الطلب

في دفعها

فيردعنها بالضرب فيلقي من ذلك بلاء شديدًا واتفق ان امراة العبد
الذي سحرته زارت ابنة ملك تلك المدينة فكانت معها في علوها تشرف
منه علي ما حولها وكان العبد في ذلك اليوم قد استاجره شيخ ضعيف البدن
كبير السن فاحتمل اواني فخار في جولقين ومرّ به علي ابنة الملك
وهي في قصرها فراي العبد عند القصر الاتانة التي يهواها فما ملك نفسه
ان نهق وقصدها وفعل ما يفعل الحمير عند مثل ذلك وجعل الناس يضربونه
من كل جانب وخلف والفخار يتساقط عن ظهره والشيخ صاحب الفخار
يصيح ويستغيث بالناس وجعل الصبيان والسفلة به يعيطون من كل
جانب وجانب والاتانة فارة من بين يديه ترفصه وهو يتبعها علي تلك
الحالة فرات ابنة الملك ذلك فاعجبها واضحكها فقالت امراة العبد
التي سحرته الا اخبرك باعجب مما رايت من هذا الحمار قالت لها بلي فافعلي
فقالت انه زوجي فقصت عليها خبر العبد فاشتد تعجبها مما سمعت
وسرت به ثم سالتها عن تبطل سحر العبد وتخلي سبيله فاجابتها الي
ذلك وابطلت السحر عن العبد فعاد بشرًا سويًا ولم يكن له همة الا الفرار
من السند فلما انتهي المضحك الي هذا المبلغ سكت وقد كان يزدجرد
اشتد ضحكه لما سمعه من حديث المضحك ولما شاهد من حركاته في
وقت حديثه ولما سكن ضحكه وعاوده الوقار والابهة اقبل علي المضحك
وقد اكفهر له فقال له ويحك ما حملك علي ان تكذب هذه الكذبة
الشنعاء كانك ما علمت انا نحظر الكذب علي رعيتنا ونعاقبها عليه

وقد قالت الحكما الكذب كالسموم التي تقتل اذا استعملت لم القمل
مفردة وقد يدخل في تراكيب لادوية فينتفع بها فلا للملك ان يطلق الكذب
الالمن يستعمله في المصالح كالكذب في كيد الاعداء وفي تالف كعهد آكيما
ينبغي ان يطلق للاطبا تلك السموم القاتلة الا المامونين عليها المانعين
لها من المفسدين فقال له المضحك ايها الملك السعيد ان هذا مثل تضمن
من الحكم مايعود بمصلحة المرتاض به والذي حملني علي ماذكرته امر يلزم
عز عير الملك وسكت فاشار الملك الي جلسايه فقاموا وخرجوا من مجلسه
فقال للمضحك هات ماعندك. فقال المضحك ان عبد الملك يخبره ان
ولد الفاضل بهرام يحب فقال الملك لمن قال لابنة الاصبهند فقال الملك
لقد كان من بهرام في هذه الليلة مايدل علي صدقك ولا لوم علي ولدنا
في ذلك اذ لم يضيع من نفسه بحبة ابنة حافظ ملكنا وسيد اوليانا وبلغ
ولدنا امنيته ونحسن اليك باطلاعنا علي امره فاكتم ذلك حتي ينفذ
امرنا فيه ثم ان يزدجرد اذن لولده ولندمايه وسماره ومطربيه
فعادوا الي مجالسهم واخذوا فيما كانوا فيه ورجع الي يزدجرد سروره
وطربه الي ان انقضي مجلسه وخرج القوم من عنده فتبع المضحك بهرام
فاخبره الخبر فشكره علي ذلك ووصله ثم ان يزدجرد انكح ابنه بهرام
ابنة الاصبهند ولم يزل يروض نفسه علي الرضي بخدمة ابيه حتي
انقادت لما اراد منها فلبث بذلك الي ان قدم اخ لقيصر علي يزدجرد
ساعيا في الصلح والهدنة والموادة فاكبر يزدجرد قصده وعرف

فضيلة

يكن عند الفرس لهم مدنيع حتى انتهوا الى دار الملك فنزلوا بظاهرها فخرج
زعما الفرس وحفظة دينهم ونصب لبهرام كرسي فجلس بهرام عليه وقام
العجم بين يديه وتقدم اليه فسجدوا له وقاموا بين يديه فاذن لهم
في الكلام فتكلم رئيس الموابذة فحمد الله وذكر رافته ورحمته بخلقه
ثم ذكر بعد ذلك كراهية الفرس لتمليك من ولده يزدجرد لما يتخوفونه
من سلوكه سبيل والده لاسيما وقد نشا بين بربر ~~العرب~~ الذين يصلحون
في جنسهم باخراب الارض وسالة ان يعفي الفرس مما كرهوه وانهم لا يملكونه
طايعين ولا يقصرون في دفاعه عن ذلك بكل ما امكنهم. فلما قضى
رئيس الموابذة كلامه تكلم بهرام فحمد الله سبحانه وشكر نعمته عنده وصدقه
رئيس الموابذة فيما نسب اليه ليزدجرد من الجور والعسف بهم ثم اتبع ذلك
بذكر ما كان يتمناه من مصير الملك اليه ليزيل رسوم الجور ويشيد
قواعد الحق ويذيق الرعية حلاوة رافته واحسانه. اضاف بما
اذاقهم ابوه من غلظته واساته ثم اطمعهم انه لا يترك تراث ابيه ولا يالو
جهدا في تحصيله وانه مع ذلك يدعوهم الى ان يضعوا تاج الملك وزينته
بين اسدين ضاريين ويحضرهو وكسرى المتغلب على ملكه فمن اخذ
التاج والزينة من بين الاسدين فهو بالملك احق واولى
وذكر لهم انما يفعل ذلك رافة برعيته صونا لهم عن مقاومته ودفاعه
وثقته بنصر الله وعونه لما يعلمه من حسن طويته. وخلوص نيته و
رغبته في اصلاح الارض واهلها فرضي زعما الفرس بما بذل لهم بهرام

من نفسه ويرجوا الراحة منه بذلك من غير مشقة تناله في دفعه والتقلبوا
من عنده متعجبين من جماله وكماله وفصاحته وابهته ثم عمد والي اسدين
ضاريين فجوعوهما واخرجوهما الي ظاهر المدينة في قفصين من الحديد
وفي عنق كل واحد منهما سلسلة في طرفها وتد من الحديد فضربوا الوتدين
الوتدين في جهتين مختلفتين وجعلوا بينهما بقدر ما اذا اخرجوا اي
كل واحد من الاسدين الضاريين يقصد الاخر يلتفي اليه وجعلوا تاج
الملك وزينته بحيث يمكن كل واحد من الاسدين الوصول اليهما
والذب عنهما وفتحوا القفصين عن الاسدين فخرجوا وقد اجتمعت
امة عظيمة من الفرس واجتمع من العرب خلق كثير فقاموا بازايهم فخرج
بهرام من قبته وقد شد وسطه بمنطقة وجمع ذيوله اليها. فقام بازاء
الاسدين من بين الصفوف ونادي كسري ان اخرج ايها الموثب
علي ملكنا المتغلب علي تراثنا من ابايا فنحو تاج الملك الذي انتزعته
من اهله فاجابه كسري انك احق واولي بالتقدم علي ما اعطيت من
نفسك لانك الداعي اليه المتبرع به ثم انك تطلب الملك بوراثة
وانا غاصب فدني بهرام من الاسدين ولا سلاح معه فلما راي رئيس
الموابذة ان بهرام قد عزم علي ما بذل من نفسه ناداه يا بهرام انك تموت
ولا لوم علينا فيك فقال بهرام اجل انا فعلت ذلك علي نفسي ولكن
لرافتي ولا بد من فعله فقال له الموبذان ان كنت ولا بد فاعله فتب
الي اسد ... اليه واسقمه فذكر بهرام ذنوبه وتاب الي اسد من

فضيلة واحسن نزله فلما راي بهرام منزلة اخي قيصر عند يزدجرد يستشفع به عنده في رده الي اليمن فشفعه واذن لبهرام فتحول الي بلاد العرب فكان فيها علي ما احب الي ان هلك ابوه واترث الملك من بعده قال محمد عفي الله عنه هذه غاية سلوانه الرضي وقد عن لنا ان نكمل به بهجتنا وهو الاخبار عن مهلك يزدجرد وبما احدث رعيته من بعده وكيفية مصير الملك الي ابنه بهرام وذلك فيما ذكره المعنيون باخبار ملوك الفرس وذلك ان يزدجرد لما كثر عسفه واشتد عتوه وعدل عما نهجه سلفه من العدل والرافة اجتمع وجوه رعيته من ذوي الصلاح عندهم فدعوا الله علي يزدجرد وبما فاتهم منه فرحم الله ضراعتهم واستجاب دعاهم وبينما يزدجرد جالسا في منتزه له اذ دخل عليه حاجبه فاخبره ان فرسا متوحشا عريا قد جمع محاسن صفات الخيل فهو ذو صورة لم ير الراوون مثلها جا يشتد عدوا حتي وقف بباب الملك وان الناس هيبوه فلم يجتري احد ان يدنو منه وان الخيل قد رنا غرته فما تقدم عليه فاستخف يزدجرد ما سمعه من وصف الفرس فنهض نحو الفرس فلما عاينه اعجب به اعجابا ودني منه وخضع له الفرس فمسح يزدجرد بناصيته ثم علي وجهه وقبض بناصيته وامر باسراجه والجامه فالجم واسرج. فيقال ان يزدجرد استدار بالفرس ومسح كفله فرمح به الفرس رمحة خر منها ميتا وملا الفرس فرجه

عدوًّا فما عرف الى نعضه اي توجه ويقال بل ركبه يزدجرد وحرك فسبق
الابصار حتى اتى البحر فاقتحم به فيه والله اعلم اي ذلك كان ولما
رأت الفرس ان الله سبحانه اراحهم منه اجمعوا على ان يخرجوا الملك عن
ولد يزدجرد خوفًا ان يستن فيهم مثل سنة ابيه فملكوا رجلًا من ابنا
ملوكهم السالفة يقال له كسرى وكان مرضيًا عندهم فحمى ما شرعه
يزدجرد من المظالم واعفى الفرس من جميع ما كرهوه فعرف الفرس بركة
ايامهم في تملكه وانتهى الخبر الى النعمن فاطلع عليه بهرام واخبره انه
عضده وناصره وباذل نفسه وماله في مرضاته فشكر له بهرام ذلك
وامره بشن الغارات على اطراف بلاد الفرس مع السفك سفك
الدما فامر النعمن ان يفعلوا ذلك ففعلوا فاشتد ضررهم على الفرس
فارسلوا الى النعمن يستعفونه ويسالونه العود الى احسان المجاوره
فلما انتهى الرسل الى النعمن قال لهم انما انا خادم الملك بهرام
افعل ما يامرني به فاذهبوا اليه فلما ذهبوا اليه وعاينوه ملا عيونهم
جمالًا وصدورهم وقلوبهم جلالًا. فخروا له ساجدين وسالوه العفو
والصفح فاجمل خطابهم وبسط امالهم. وامرهم ان يبلغوا من وراهم
انه حسن الراي فيهم مومل الاصلاح شانهم. وانه متوجه اليهم ليتولى
اخبارهم عن نفسه واقامة الحجة عليهم فليتاهبوا له ثم انصرف الرسل
مكرمين وامر النعمن فكتب له عشر كتايب في كل كتيبة الف فارس من
انجاد العرب ثم سار فيهم وسار النعمن بين يديه في جيش عرمرم فلم

عز وجل وسأله العون ثم دنى من الاسدين فقصد احد الاسدين فلما قاربه
راغ عنه بهرام روغة ثم وثب من الارض فاذا هو على ظهر الاسد فضم الاسد
بفخذيه ضمة تبدد لها الاسد وفرج بين قوايمه وتبت مكانه يلهث فقصده
الاسد الاخر فانتهى اليه حتى الصق ظهره وراسه براس الاسد الذي تحت
بهرام ولم تمكنه السلسلة من زيادة التقدم فقبض بهرام على اذنيه وجعل
يضرب براسه راس الاسد الذي تحته حتى سقطا ميتين سوا فقام بهرام
قايمًا الى قدميه فحمد الله سبحانه على صونه وعونه وازال ذيوله عن منطقته
وتناول تاج الملك فوضعه على راسه فناداه كسرى الذي كان الفرس
ملكوه ليهن الملك بن الملك ما اعطاه الله من ميراث سلفه فكلنا
له سامع وله مطيع ثم ان الفرس ارتفعت اصواتهم بالدعاء له وتقدم اليه
موبذان موبذ فاخذ بيده فاجلسه على سرير ملكه وشد عليه زينة الملك
وبادر له بالطاعة وتتابع زعماء الفرس على ذلك وركب بهرام فدخل
المدينة ونزل بقصر ابيه وفرق الاموال في ذوي الحاجات واهل
النجدة وحسن النعمة وشرفه وتوجه واجاز العرب الذين صحبوه بامرهم
على قدر اقدارهم ثم انه وفى للرعية بمواعيد عدله واحسانه فلم
يزل محسنًا محمودًا فيهم حتى هلك وقد دون الفرس له اخبارًا عجيبة
اودعنا منها خبرين نادرين كتابي المسمى انباء نجباء الابناء وبعد

فلله الحمد كما هو
اهله ومستحقه

السلوانة الخامسة

وهي سلوانة الزهد

قال ربنا تقدس اسمه مخاطباً اعلم من استخلفه في ارضه واعلم كلفه ما يرتضيه الذي كان عاضده علي ما يستكفيه وعاصمه فيما يبديه ويخفيه ولا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه هذا بعد ان خيره بين ان يكون ملكاً نبياً. او نبياً عبداً فاختار فقر الملك علي غني الملك وذلك اقول

قال جبريل عن ربه	خيرت فاختر يا دليل الهدي
نبوة في حال عبدية	تحوي بها القدح المعلي غدا
او حال عليك نحا المهدي	بين يديه صقعاً سجدا
فاختر ما يحظي به اجلا	لله ما اهدي وما اسعدا

خبر نبوي في الزهد اي من زهد الملوك

من حديث ابن مسعود رضه قال ان ملكاً ممن كان قبلكم بينا هو في ملكه اذ ادركه الخوف يريد الخوف من الله عز وجل قال فترك ملكه وخرج حتي اتي النيل فكان علي شاطيه يضرب اللبن يعني الطوب ويقتات من ذلك فسمع الملك الذي كان في ارضه بخبره فارسل اليه كن بمكانك حتي الحق بك وترك الاخر ملكه ولحق به فكان امرهما واحداً الي ان هلك الاثنين قال عبد الله بن مسعود فلو كنت بمصر لاريتكم قبرهما بما نعته لنا رسول الله صلعم ورويناه بلفظ اخر وهو ان عبد الله بن مسعود قال بينا رجل في موكبه تذكر فعلم ان ما هو فيه منقطع وانه قد شغله عن

عبادة الله فانساب من قصره ليلاً وصار الى مملكة غيره فاتى ساحل البحر
يضرب اللبن ويشتري من ذلك فبلغ الملك حين كان في مملكته عبادته
فركب اليه وسالهم عن حالهم فقال له انا فلان صاحب كذا علمت انما
كنت فيه منقطع لو انه قد شغلني عن عبادة ربي فقال له ما صنعت باحق
مني ثم دخل سبيل ملكه وتبعه وكانا يعبدان الله عز وجل ويسالان
ان يميتهما جميعاً فماتا جميعاً قال عبد الله بن مسعود لو كنت بمصر
لاريتكم قبريهما بالنعت الذي نعتهما لنا رسول الله صلعم منثور
ومنظوم من الحكم في الزهد روي ان سليمان بن عبد الملك قال
لعمر بن عبد العزيز رضه حين اعجبه ما صار اليه الملك يا عمر كيف ترى ما
نحن فيه فقال يا امير المومنين هذا سرور لولا انه غرور ونعيم. لولا
انه عديم وملك لولا انه هلك. وفرح لولا يعقبه ترح. ولذات
لولا تقترن بافات. وكرامة لو صحبتها سلامة فبكى سليمان حتى
خضب لحيته بدموعه ومما قلت في ذلك ابياتاً

يا منفساً لك الحرص	في الفضول وكاده
لو حزت ما حاز كسرى	وما حوى وافاده
ما كنت الا شقياً	ونعزما بالزياده
لم ينصف في الارض عبد	الا لاهل الزهاده
فرض على الزهد نفساً	فانما الخير عاده

حذر حذر من دار اشر دار حرامها سم ناقع. وعذابها واقع. وحلالها

نصب شاسع. وامل واسع. وايضا

دنياك دار غرور ومتعة مستعاره
ودار كيس وكسب ومغنم وتجاره
وراس مالك نفس فاحذر عليها الخساره
ولا تبعها باكل وطيب عيش وشاره
فان ملك سليمان لا يفي بشراره

وايضا لي في ذلك

انا بدر تردي بصارعها وتحفر لالي في فوادعها
وتستفز الحليم عن سنن تقصد وتنفي علي مخادعها
من رام ابقاها عليه فقد حاول ماليس في طبايعها
اسرع ما تجتني برانقها يوما اذا استجمعت لجامعها
ثناه عليها واربا بنفسك عن طلابها واتقنا تابعها
عمري لقد بذرت مبذرة باحقة لناصحها وسامعها
موذنة موذعية لسا عنه آه من قوارعها
فالامن واسد من فجايعها فيضمناه الزهد في مطامعها

ومن ذلك ايضا

راعك الزهد انما الزهد رفض لفضول تلهي وتطغي وتردي
ثم لا يكون الزهادة في المقسوم رزقا لك في ضروب التقدي
مرحبا بالكفاف عفوا هنيا ثم لا مرحبا بحرص وكد

ما عندنا

ما علمنا وقد راينا كثيراً | وسمعنا بحال جد بجد
لا يزال الحريص يسامه الحرص | بنصب من الشقا ويكدي
ثم لا يستطيع ان يتعدي | قدر اما الحقه من سعد

قيل ان حرقة بنت ابي قابوس النعمن بن المنذر استاذنت بالقادسية علي سعد بن ابي وقاص رض فاذن لها فدخلت في جواريها وعليهن المسوح ومقطعات حلب السود فراي منظراً شنيعاً ولم تتميز لحرقة من جواريها لمشاركتها اياهن في الزي وكلهن رواهب فسلمن عليه فقال ايتكن الحرقة فقلن هذه فقال انت الحرقة فقالت نعم وما تكرارك اسمها استفهامي ايها الامير ان الدنيا دار قلعة وزوال فما تدوم علي حال تنقل باهلها انتقالاً وتعقبهم حالاً فحالاً وانا كنا ملوك هذه الارض يجبي الينا خراجها ويطيعنا اهلها مدي المدة وزمان الدولة فلما ادبر الامر وصاح بنا صايح الدهر فصدع عصانا وشتت ملانا وكذلك الدهر يا سعد انه ليس من قوم اتحفهم بخيره الا اردفهم بعبره ولا اسعفهم بفرحة الا اعقبهم بترحة ثم انشدت بصوت ارق من النسيم

وبينا نسوس الناس والامر امرنا | اذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فتبا الدنيا لا يدوم سرورها | تقلب تارات بنا وتصرف

وبينما الحرقة تخاطب سعد رض اذ دخل عمرو بن معدي كرب الزهري علي سعد فنظر الحرقة فقال لها انت الحرقة التي كانت تفرش لك الدار والارض من قصرك الي | بالديباج المبطن بالحشو بالوشي

قالت نعم فقال لها عمرو فما الذي دهمك واذهب نجموح اشيمك وغور ينابيع نعمك وقطع سطوات نقمتك فقالت له يا عمرو ان للدهر عثرات تلحق السيد من المملوك وتخفض ذوي الرفعة الرفعة وتذل ذوي المنعه وانه امركنا ننتظره فلما حل لم ننكره ثم ان سعدا سالها عما قصدته فاستوصلته فاوصلها واجزل وقضى حوايجها ولما فصلت عنه سيلت عما لقيت منه فانشدت

صان لي ذمة واكرم وجهي	انما يكرم الكريم الكريم

روضة رايقة • ورياضة فايقة

قال محمد عفي الله عنه نذكران شا الله من زهد الملوك ما يوافق الخبر النبوي الذي قدمناه انفا وهو زهدهم في الملك مع نبذهم له وتخليهم منه ولا نعرض لذكر من زهدهم في نعيم الملك مع نبذهم ولم ينبذه لاستقلاله باعبا الرياسة وسياسة الخلق بالحق واعبا العبادة والزهد مع ذلك كداود وسليمن في النبيين عم • وكابي بكر وعمر في الخلفا المهديين فان هذا الفن يخرج عن هذا النحو التبويب ولا يدرج في هذه الاساليب وبالله المستعان فمن ذلك معاوية بن يزيد بن معاوية كان على صغر سنه عالما عاملا متبتلا مقللا قد ذلل نفسه بالتقوي وعزل بها عن زينة الدنيا افضيت الخلافة اليه وسنه سبع عشرة سنة فخامره الندم على تحملها واطلع اهل بيته على ذلك فكرهوه ولبثوا عشرين ليلة يناظرونه فيه وينهونه عن كراهيته وان لا يظهر ذلك فلما راوه غير منثن وانه لا بد له من خلع نفسه من الخلافة دعوه ان يعهد

ثالاحظ

الي احدهم فقال كيف اتجرع مرارة فقدها وانقلد بتبعة عهدها ولو كنت موثرا به
احدا لاثرت نفسي ثم انه خطب الناس فذكر لهم عجزه عن القيام بامرهم وعهد لهم
ان ينظروا لانفسهم واحلهم من بيعته وانصرف واغلق بابه ولم ياذن لاحد فلبث
بعد ذلك خمسة وعشرين ليلة وقيل عشرين ليلة ثم لحق بالله سبحانه

وقد قال علي بن الجهم في ذلك ارجوزة له في تاريخه

ثم ابنه معاويه المضعف	كان له دين وعقل يعرف
ودام شهرا ونصف شهر	وجاه الموت عزيزا لا جر
وترك الناس بغير عهد	توقيا منه وفضل زهد

قال محمد عفي الله عنه كلام علي بن الجهم هذا يقتضي ان معاويه مات ولم يخلع نفسه
والمعروف ما ذكرنا وانما قيل معاويه المضعف لانهم استضعفوه لترك الخلافة
وكذلك ابا ليلي وهي كنية للمستضعف وبلغني ان السبب الباعث له علي الزهد في
الخلافة والمنبذ لها انه سمع جاريتين يتلاحيان وكانت احداهما بارعة الجمال
فقالت الاخري لقد اكسبك جمالك كبر الملوك فقالت الحسنا واي ملك يضاهي
ملك الحسن وهو قاض علي الملوك فهو الملك فقالت لها الاخري اي خير في الملك
وصاحبه اما قايم بحقوقه وقايم عامل بالشكر فيه فذلك مسلوب اللذة والقرار
منغص العيش واما منقاد لشهواته موثر للذاته مضيع للحقوق مضرب عن
الشكر فمصيره الي النار فوقعت الكلمة في نفس معاويه موقعا موثرا وحملته
علي الانخلاع من الامر رحمه الله ورضوانه عليه

روضة رايقة وريا جنة فايقة

قيل كان عدي بن زيد العبادي التميمي قد دخل بلاد الروم رسولاً لملك
الفرس ناقبس من علومه ما قرا من الكتب وكان ذا مكانة من ملك الفرس
وكاتباً وترجماناً له. وكان ابوه زيد والياً على الحيرة من لخم وخليفة للمنذر
بن ما السماء فكان عدي بن زيد عند ملوك الفرس وعند ملوك
الحيرة من لخم لاجل ابيه في اعلى المراتب فحضر يوماً عند النعمن بن امري
القيس وهو بالخورنق والخورنق قصر كان لبهرام جور كما قد بناه فاشرف
النعمن على ما حول الخورنق وكان ذلك في فصل الربيع نتامل ملياً ثم اقبل
على عدي بن زيد فقال يا عدي الكل ما اري الى نفاد وزوال فقال عدي
قد علم الملك ان لا امر على ما ذكر فقال النعمن واي خير لا يفني ولا يبيد
ثم قل ما لبث ان تنصر وترهب وساح في الارض وقيل بل كان معجباً
بالزهر المسمى بشقايق النعمن واليه ينسب لانه كان يتبع رياضه ويحميه وانه
قصد يوماً من الايام الربيع وغب سما شقيقة وكساها ذلك النوار
والشقيقة رملة مستطيلة. فلما عاين تنضد ذلك النور وشقيقه في
منابته. وقوة حمرته وخضرة ساقه وتموجه بهبوب النسيم عليه. وتناثر
قطر الندا من ارجائه راي منظراً بهيجاً فامر ان يبسط بازا تلك الشقيقة
بساط من الحرير الموشي فكانما كان روضة مختلفة باصناف الزهر ونصبت
عليه قبة من الديباج الاحمر قد شحنت من المقاعد والنمارق والمساند
بما يضاهيها ويجانسها ولبس من الحرير المصبوغ بالبهرمان. وهو العصفر
وجلس في قبته وحوله ندماؤه وعنده عدي بن زيد فشرب وطرب

ودبت فيه الراح فارتاع. ثم اقبل الي عدي فخاطبه بما ذكرنا انفا فلما
سمع عدي مقالته اهتبك الفرصة في موعظته بما قد عناه وازمع الزيادة
في ايقاظه من غفلته فامهله حتي انقضي اربه من مجلسه وركب النعمن فسايره
عدي الي ان مر بقبور بظاهر الحيرة فقال عدي بن زيد للنعمن ابيت اللعن
ايها الملك اتدري ماتقول هذه القبور قال لا. قال عدي انها تقول
ايها الركب المجبون. وعلي الارض المجدون. وكما انتم كنا. وكما نحن تكونون
فلما سمع النعمن مقالته راجعته فكرته السالفة وظهر عليه الانكسار ثم مر
بشجرات مغنا وحابينهن باحة فيها عين ماء جاريه فقال عدي للنعمن
اتدري ماتقول هذه الشجرات قال لا. فقال عدي تقول هذا

ثم انشد عدي هذه

من رانا فليحدث نفسه	انه واقف علي قرب الزوال
وصروف الدهر لا يبقي لها	ولما تاتي به صم الجبال
رب ركب قد اناخوا حولنا	يشربون الخمر بالما الزلال
والاباريق عليها فدم	وعتاق الخيل تردي بالجلال
عمروا دهرا بعيش حسن	امنا دهرهم غير مجال
ثم اضحوا عصف الدهر بهم	وكذاك الدهر يودي بالرجال
وكذاك الدهر يرمي بالفتى	في طلاب العيش حالا بعد حال

قيل فلما سمع ذلك النعمن وصل الي منزله قال لعدي اذا كان
السحر فاحضر الي عندي حتي اطلعك عليه فلما كان السحر حضر النعمن

فوجد عدي النعمن قد لبس مسحًا واخذ اهبة السياحة فودعه وذهب
ولم يعلم له خبر وعندي ان المتوهب هو النعمن بن المنذر وعدعه الاكبر
ولم يدركه عدي ولكن ذكره في شعره والذي ادركه عدي النعمن
بن المنذر الاصغر وان عديًا نبهه بما حكي عنه تنبيهًا اقتضي التبصرة
لا السياحة بل هو الذي قتل عديًا وبقي في ملكه . الى ان قتله كسرى والله
اعلم اي ذلك كان .

وفي ذلك قال عدي

ايها الشامت المعير بالدهر انت المبرا الموفور
ام لديك العهد الوثيق بالايام انت جاهل ومغرور
اين كسرى الملوك ابو ساسان ام اين قبله سابور
وملوك الاصفر بنو الروم لم يبق منهم مذكور
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبي اليه والخابور
وتذكر رب الخورنق اذ اشرف يومًا وللهدى تذكير
سره ماله وكثرة ما يملكه والبحر معرضًا والسدير
ثم صاروا كانهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

روضة رايقة ورياضة فايقة

حكي ان ملكًا من ملوك اليونانين قام من منامه في بعض الغدوات
فاتته قيمة لتلبسه ثيابه فلبسها ثم ناولته المرآة فنظر فيها فراي شيبة
في لحيته فقال هات المقراض يا جارية فاتته به فقص الشيبة فتناولتها
الجارية وكانت لبيبة اديبة فوضعتها في كمها واصغت اليها باذنها

ساعة والملك يتاملها. فقال ما تصفين. فقالت اسمع الي ما تقول هذه كنزه
التي عظم مصابها بمفارقة الهامة العظمي حين سخطها الملك فاقصاها فقال
لها الملك فما الذي سمعتي من قولها فقالت زعم قلبي انه سمعها تقول
كلاما لا يجتري لساني علي النطق به لاتقاي سطوة الملك فقال قولي علي
حال امنة وعدم توقي ما لزمت اسلوب الحكمة فقالت تقول ايها الملك
المسلط علي امد قصير اني قد كنت اظنت بك البطش بي والاعتدا علي فلم
اظهر علي سطح جسدك حتي بضت وخضت ببيضي. حتي افرخت وعهدت
الي بناتي الاخذ بثاري عهدا. وكان قد خرجن وعجلن الاخذ بثاري
اما باستيصالك. واما بتنغيص لذتك وتضعف قوتك حتي تفقد
الهكلة راحة فقال لها الملك اكتبي كلامك هذا فكتبته له فتصفحه
تصفحه مرارا. ثم نهض مبادرا الي هيكلا من الهياكل التي يعظمونها
فنزع عنه ملبس الملك وتزيا بزي نساك الهيكل. وبلغ اهل مملكته
ذلك فبادروا اليه وطالبوه بالعود الي ملكه فامتنع. وسالهم اقالته
وتمليك غيره. فامتنعوا عليه وهموا بامتحانه. فاصلح بينهم النساك علي
ان يتركوه في ذلك الهيكل يعبد ربه. ويستكفي لما يستناب في مثله من
امور رعيته. ويلي غير ذلك بنفسه. فلبث بذلك الي ان هلك ::

روضة رايقه وراضة فايقه

بلغني ان ملكا من ملوك اللات كان كافرا شديد العتو والكبر حديث
السن مستحكم القوة وكان اذا ركب لم يستطع احد ان يرفع صوته الا

بالثنا عليه والمدح له . والشكر لاحسانه وكان له وزير مومن يكتم
ايمانه ويتخير وقتًا يمكنه فيه دعوة الملك الي الايمان فركب الملك يومًا فسمع
نجارًا يرفع صوته لبعض شانه فقال الملك للشرطة خذوه فلما اخذوا الشيخ
قال ربي الله فقال الوزير للشرطة خلوا عنه فخلوه . فاشتد غضب الملك
علي وزيره ولم يمكنه الانكال به في ذلك المقام لئلا يظهر للناس ان الوزير
يخالفه فيما يامر به وسكت ليوهم الناس ان الوزير انما امر بارادة الملك فلما
انصرف الملك الي مستقر ملكه احضر الوزير وقال ما دعاك الي مناقضة
امري بمشهد من عبيدي فقال الوزير ان لم يعجل الملك اريته وجه نصحي
واشفاقي وصوابي عليه فيما اتيته فقال له الملك اريني ذلك فاني لا اعجل
عليك فقال اريد ان يحتجب الملك في مجلسه هذا ويكون بحيث يري
ويسمع من حجابه ففعل الملك ذلك ثم ان الوزير احضر قوسًا صنعها الملك
بعض خدمته وكتب الصانع اسم نفسه عليها ثم ناولها غلامًا بحضرته
فقال للغلام امضي احضر صانع هذا القوس فاذا احضروا قبلت عليه بالحجارة
فاقرا الاسم الذي علي القوس جهرًا حتي تعلم ان صانعها قد سمعك ثم اكسرها
ثم احضر القواس ففعل الغلام ما امره به الوزير فلما كسر القوس لم يتمالك صانعها
ان ضرب الغلام فشجه فقال له الوزير ويحك اتضرب غلامي بحضرتي فقال
القواس ان القوس عملي وهي في غاية الحسن والجوده فلاي شي كسرها
فقال له الوزير لعله لم يعلم انها عملك فقال بلي بل اخبرته القوس بانها عملي
فقال له الوزير كيف تخبره القوس فقال هذا خطي بيدي عليها وقد قراه

وانا السعود

وانا اسمعه فصرف الوزير القواس ثم اقبل علي الملك فقال له قد راي الملك وجه
نصحي له واشفاقي عليه بما كان مني فان الملك لما اراد ان يسطو علي الشيخ اخبره
الشيخ ان الله ربه فخفت علي الملك ان يبطش به ربه وليس يقوم لبطشه شي
فقال الملك للوزير وهل للشيخ رب غيري فقال الوزير الم يره الشيخ شيخا والملك
شاب فهل كان هذا الشيخ قبل ان يولد الملك لا رب له فقال الملك لا بل كان ابي
الملك ربه فقال الوزير فما بال المربوب يتمني هلاك ربه فقال للوزير لقد
قدحت في كبدي بزند غير صالدة ولقد علمت الان انه يجب ان يكون للمالك
والمملوك رب لا يزول فهل تعرفه فدلني عليه فقال الوزير نعم اني بل اعرفه فقال الملك
ان دللتني عليه لاكون لك تبعا ما بقيت قال الوزير اما دلالتك عليه فاوما يجب لك
علي واما اتباعك لي فلين فعلته فانما تتبع عبدك الذي يقيك بمهجته ما يريبك
ثم ان الوزير تلطف في دلالته علي الله سبحانه وشرح الله صدر الملك لقبول ذلك
فامن بالله سبحانه ثم قال للوزير اما لربنا من ضريبة اذا احسنها عبده حظي بذلك
عنده فقال الوزير بلي ان له وظايف عباديه امرهم بها خلقه ورضي لهم فعلها ووعدهم علي
فعلها رضوانه والقرب منه وذكر له الصلوة والصيام. وغير ذلك من شرايع المسيح
عم فجعل الملك يتاني بها حتي رسخ علمها. وتمرن علي العمل بها ثم انه قال للوزير يوما
ما لك لا تدعو الناس الي الله كما دعوتني فقال ما منعني ايها الملك ان اللات امة
ذات قلوب قاسية. وفهوم قاصية. ونفوس عاصية. ولست امنهم علي ان
تفوهت لهم بذلك فقصي فقال الملك اني فاعل ذلك ان لم تفعله انت فقال له الوزير.
ليعلم انهم ان لم تردهم هيبته عني. لم تردهم عنه. وساجعل نفسي وقاية لنفسك

وانهم سيقتلوني لا محالة فلا يجتري الملك عليهم بعدي ثم ان جوزر استدعي الي داره وجوه تلك المملكة وذوي تدبيرها وولاة احكامها واهل النسك والحلم فلما اجتمعوا اليه في داره قام فيهم خطيبا بالدعوة الي الله سبحانه فثاروا عليه فقتلوه ثم صاروا الي الملك فاخبروه بما كان من الوزير ومنهم فقالوا له انا ظننا الملك علي مثل رايه ونحب معرفة ما عنده فارضاهم بالقول وداهن لهم وصوب رايهم في قتل الوزير فانصرفوا راضين وقل ما لبث ذلك الملك ان نبذ ملكه ولحق بالرهبان وكان معهم الي ان توفاه الله عز وجل. روضة رايقة ورياضة فايقة

قيل ان ازدشير بن بابك بن ساسان ولد له ولد في حداثة سنه وبدو امره فسماه بابك باسم ابيه فنشا رايع الصورة بارع الخلق فشغف به ازدشير وصحبه والزمه فيلسوفا ماهرا في الفلسفة راسخا في العلم والحكمة متحليا بالزهد فسأله ازدشير ان يتخذه ولدا فاقتطعه الفيلسوف عن ابيه وامه وتولي تربيته وتدريجه الي ان اصطنع باعباء العلوم والفلسفة وتبوي مبوا الزهد ولما سعي ازدشير لضم كلمة الفرس تم له المراد واعطاه ملوك الطوايف الانقياد استمد براي ولده بابك نيابة من المهمات فظفر منه باصناف امنيته الا انه لا يشاهده ولا يشافهه الا بغض اليه الدنيا وامرها تضييعا لمعانيها وتعريفا بمساويها وتخويفا من عواقبها فكان ازدشير منغص المسرة لاجل ذلك من امر ولده وكان يقال من صحب الملوك بما يكرهونه فلا ينكرونه وكان يقال قل ما يتوفر فكر الملك علي امر واحد

حتى تطول عنايته به على انفراده وذلك لكثرة تجاذب خواطرها من الاهوا
حتى اذا توفر فكره على امر واجتمع له اوشك ان يحكمه فاذا رايته قد
اجتمع لامر وتوفر عليه فلا تعرض له بشي . فيحول بينه وبين الفرصة
التي يقل ظفره بها قبل وكان اردشير يحتمل ذلك لولد بابك شفقا به
وتالفا له وابقا عليه فقال له اردشير يوما يا بابك اتعرف اباك فقال
بابك ايها الملك ان لي ابوين ابا كان علة كوني وابا كان علة بقاي وانا بهما
عارف فقال اردشير صف لنا اباك الذي كان علة كونك فقال بابك
انه ملك ملا العيون بها والاسماع ثنا والصدور هيبة والقلوب
محبة ذا رافة شاملة وقضية فاضلة وسيرة عادلة وحزم اخاف
قلوب المرتدين من اجسادها وسيوفهم من اغمادها . وامن نجوم سباع
عضاديه والافاعي الجاريه فالاشباح رق لسيفه وحزمه .
والارواح لسيبه وحلمه فقال اذدشير لابن بابك فصف لنا
اباك الذي كان علة ابقايك فقال بابك ما معناه انه حليم عرف
فضيلة نفسه فكر فيها وعني بها فخدمها فقال اذدشير اخبرنا
عن كيفية خدمته لنفسه فقال بابك ما معناه انه تامل نفسه
فراها ارضا ريضة انيقة بكل خير حليقة ذات مياه نابعه
واشجار كارعه واثمار يانعه وظل ظليل ونسيم عليل الا انه
الفاها ماوي لاسود الغضب ونمور الجهل وذياب الغدر وحيات
الظلم وعقارب الحسد وخنازير الشره وكلاب الحرص وضباع

الحمق تنفي عنها هذه الافات وحصنها منها فصارت خير المحصنا لا شرّ
فيها فلما سمع ازدشير مقالة ابنه علم انه معرض عن الملك زاهد
فيه نابذله فساؤه ذلك. ثم اقبل عليه فقال له يا بابك ان الحكمة
لا ترضي لمن اتصف بها ان يكون مربوبًا مقهورًا مع تمكنه من ان يكون
قاهرًا ربًّا فقال له بابك ما اجدر الملك السعيد بالصدق واحراه
باصابة الراي ولكن ان اذن لي الملك ضربت له مثل الرب القاهر والمربوب
المقهور فقال ازدشير هات ما عندك من ذلك فقال بابك ذكروا
أنّ فيلاً كان مكرمًا عند بعض الملوك وربيبًا اديبًا وانه صيد لذلك
الملك فيل وحشي تعسرت علي السواس رياضته وتعذر عليهم تانيسه
فراوا ان يحملوه مع ذلك الفيل الانيس الاديب ليأنس به ويقتبس
من ادبه ففعلوا ذلك به فازداد نفارًا وتوحشًا فبالغ السواس في
عقوبته والتضييق عليه والتجويع له ليذل. فنال منه الجهد وان
الفيل الربيب قال له يومًا لقد جنيت علي نفسك شرًّا واسات النظر
اليها بجهلك ولو فعلت ما يراد بك من الخير لم تفعل ما فعلت وكان
يقال الغرة باب يحجب الالباب عن صوب الصواب وكان يقال
الجاهل ميت الاحيا وذلك لتهوّره وفساد تصوره وكان يقال
لا تبع كرامتك غير طالبها كما لا تبع كريمتك غير خاطبها فقال
الفيل الوحشي للربيب ما الذي يراد بي فقال له يطيب علفك و
يستعذب موردك وينظف مسكنك ويوكل بك خدم يكلونك

بكلونك

ويراعون شؤونك ويكون لبروزك اوقات معلومة يحشرون الناس
اليها فتجلل بالديباج ويضرب بين يديك بالات يهيج بها الطرب
ثم تبرز مكرماً معظماً لا تعارضك دابة. ولا يهب عليك للهون
هابة فقال الوحشي للربيب لا تخبرن مما ذكرت لي فبز ع
عن توحشه ونفاره وتاني لما يراد منه فكرم ونعم وخدم
وعظم. ولما كان يوم الزينة بالغ في تكرمته وتنظيفه
وجلل بالديباج وشد على ظهره سرير مزين وصعد على ظهره المقاتلة
وعليهم الدروع والخوذ وبايديهم عمد الحديد وركب على عنقه
دراع بين كلاب والبست فنطسة الزرد وشد على طرفها
قايم سيف كبير وقبض سواسه على نابيه عن يمين وشمال وبايديهم عمد
الحديد وعليهم الدروع وضربت بينهن الطبول والصنوج وسار على
تلك الحال حتى بلغ المراد منه فلما عاد الي ماواه قال لذلك الفيل
الربيب قد بلوت حقيقة كل ما حدثتني عنه ورايت زيادات احببت ان
اسالك عنها قال ما هي. قال ما كانت تلك الاثقال التي حملت على
الظهر قال الربيب وكليك المقاتلة والذين بايديهم الات القتال قال
فما ذلك الذي سترت فنطيسي وما ذاك المنصوب على طرفها وما ارا د
القابضان على نابي والراكب على عنقي فقال له اما الذي سترت به
فنطستك فدرع تحصنها لانها محل مقتل واما الذي ربط اليها
فسيف يضرب به العدو واما القابضان على نابيك فانهما يذبان

عنك الاعدا ويعيناك علي الاقدام واما الراكب في عنقك فانه يهديك الوجه الذي يراد منك سلوكه فقال الفيل الوحشي لامريما طيب علفي واستعذبت مواردي ونظف بدني ومسكني ونعوه ملبسي باسمي وحمل ملبسي واني لاري امرا يقوم خيره بشره ولا يفي نفعه بضره وبعد فلان اكون احرص الحراص علي الالتماس والخلاص وليس بحرمن انقاد الي غيره وخدم سوي ذاته ونفسه وكان يقال من عني بغير نفسه فقد بسط عليها ضره واسبط لها ضره وكان يقال اذا كانت الحاجه تستعبد المحتاج لمن احتاج بقدر حاجته والناس كلهم عبيد الدنيا فاعبدهم احوجهم اليها وكان يقال اذا كانت العبديه كناية عن خدمة المعبود والحاجه اليه فاعبد العبيد ثلاثة الملك والمحب والمنعم عليه لاستيلاء العبودية علي ظاهرهم وباطنهم والملك اعبد الثلاثة وذلك لان الرعية تستخدم باطن الملك وظاهره في تدبيرها وتاديبها وصونها عن عدوها ونصر مظلومها ومصالحها وردع ظالمها ونصر مظلومها وتامين سبلها وسد ثغورها والاعداد لما ينعشها في الجدوب ولما يحصنها في حروبها وجباية فضولها واموالها وصرفها في صلاح احوالها وحسم اسباب هيجها وازاحة علل فتنها وهرجها هذا مع شدة حاجة الملك الي رعيته في صون نفسه وتنفيذ امره وامحاض نصحه ودفع عدوه فلما سمع الفيل الربيب مقالة الوحشي تبين له انه اولي منه بالغرور والتهور وفساد التصور وقال بحق ما قالت الحكما

الجهل يحجب الاعيان ويقلب العيان وقالوا لا يزال المخطي مرجوا ما لم يخامره
الاعجاب بالخطا فاذا اعجب حجب ثم قال للوحشي اني اكافيك علي نصحك
اياي وتبصرك لي بان افتح لك باب الحيلة في نجاتك لاني ابصر باخلاق
الانس وعاداتهم واهدي الي وجه الخلاص منهم وساتبعك واكون خادما
مابقيت ثم اتفقا ان يتظاهر بالزحبة وهو دا يصيب الابل والفيلة في اعجازها
فاذا قامت ارتعدت افخادها حتي تكاد تسقط فتعالج بالفصد وتحمل بالحيل الهوين
ولما تظاهر الفيلان بذلك صارع السواس في مداواتهما واخرجهما الي الصحرا
تسيرونهما فلما ابعد الفيلان عن العمارة وامكنهما الفرصة من الهرب شردا
فلحقا بالفيلة المستوحشة. فهذا ايها الملك السعيد مثل ما ذكرت
لك فلما سمع ازدشير مقالة ابخه بابك اطرق الي الارض مفحوما يتفكر
في امره وقد يئس من اجابته الي ما يريد منه ثم نهض قايما وامر بابك
باتباعه فاتبعه حتي ادخله بيوت امواله ومستودعات ذخايره فجعل
يريه اياها حتي اتي علي اخرها وقبل عليه فقال له يا بابك لمن تترك هذا
اتتركها لمن هو احب اليك من نفسك واحوج منها فقال بابك ان اذن
لي الملك السعيد ضربت له مثلا فيه جواب ما سالتني عنه قال له ازدشير
هات ما عندك في ذلك فلما قال بابك ذكروا ان راعي بقر كان يرعي
علي اهل قرية فيحسن المسارح والمراح فلبث بذلك مدة طويلة من
الزمان وهم به مغتبطون وعليه مثنون لما يعرفونه من بركة سعيه و
تشهير رعيه وكانوا لا يسالونه عن امر بقرهم التي سلموها اليه رضي به

وطمانينته الى امانته وكفايته وكان يقال الموثوق به موثوق والامين
بالموده قمين وكان يقال الاحسان والامانة يملقان بكل لسان نافقان
عند كل انسان قيل وكان الراعي يؤي عند المقيل الى صومعة راهب
فيقيل في ظلها ويكثر التاوه والانين لما ينال من النصب فيما يعانيه
وكثر ذلك منه على الراهب الى ان خامرته له رآفة فاطلع يوما عليه
فقال له ايها الراعي مالى اسمعك تكثر الانين والتاوه فقال الراعي
ذلك لما اتحمله من حفظ هذه البقر والذب عنها واتبيع المرعي الخصبة
بها فاني اقوم من ذلك بما يعجز عنه غيري واحمل نفسي المشقة في حصوله
فقال له الراهب وما الذي دعاك الى الاضرار بنفسك في اصلاح سواها
ونفسك اقرب اليك واحق بسعيك فقال الراعي اني لو لم افعل ذلك
لمانع ولم تبلغ هذه البقر من السمن والوفور ما ترى ولقد كانت يوم
وليت امرها قليلة كمد كثيرة العجف بلية الضروع لا تنزي قنا ولا
تملا اناء فقال الراهب لقد حدت عن مسئلتي حيدة من لم يولها
اقبالا ولم يلق بها بالا انما سالتك عن سبب حملك على نفسك لغيرها
وايثارك من سواك لخيرها فاخبرتني بتحديد عنايتك وشدة اعتنائك
فاخبرني الان عما افادك حميد سعيك وشديد رعيك قال الراعي
افادني الغني بهذه البقر اكل من لحوم ما سقط منها ما شيت واطعم من
شيت واتصرف في البانها وغير ذلك من منافعها تصرف المالكين
وانتجع بها من الارض الى حيث اشاء فهي على الحقيقة لي وسيدي فقال

له الراهب هكذا زعم راهب كان به بلهٍ ثم صح عنده غيره وبطل زعمه فقال له الراعي اخبرني عن ذلك فحكى له الراهب بزراه انه كان سايحاً مترهباً فمر في سياحته بدير وكان حسن البنا متثلم الحيطان وهو بمكان طيب نزه وقدامه ارضاً اريضة فيحا ذات ما عذب وفي ذلك الدير رجل من ضعفاء الرهبان ومساكينهم فاعجبه الدير واوطنه وكان قوي البدن جلداً معماراً فاصلح ما انثلم من جدرانه وعمر الارض التي عنده فاحتفر من سواقيها واجرى ماءها وغرس فيها انواع الاشجار فدرت منافع الدير وقصدت الرهبان فاوطنوه وسادهم ذلك السايح واتخذ العبيد والدواب والة العمارة وارضه واستضاف الى ارض الدير ما جورها وغرس فيها الكروم والزيتون واللوز كثيراً ما فعظمت المنافع وكثرة الجبايه ورغب السايح في جمع المال فحرم المساكين واتخذ كنزاً نفيساً في اقرب مدة وكان يقال المال كالماء فمن استكثر منه ولم يجعل له مسرباً يتسرب منه ما زاد على قدر الحاجة غرق فيه وكان يقال المواساة في المال والمأمول وبقايهما فلما عامل السايح من معه كدير بالحرمان وانه استاثر دونهم بالمال كثر واشكايته فضحت القالة فيه واجترى عليه من كان يهابه وافضت الى مكاشفته فجاهروه ودعوه الى الانصاف والمواساة فيما بين فقال لهم كيف اعطيكم مالي الذي اكتسبته بكدي وافرغت في تحصيله جهدي فقالوا له بل مال الله لكل احد منا فيه حق ولك الفضل علينا بتنميته وصونه فلما سمع مقالتهم قال لهم ستعلمون

مال من هو ولما جن الليل امر عبيده فعقروا الف داليه والف
زيتونة والف لوزة فاصبحت مصرعة في اشنع منظر فاتو الي السايح
فاخبروه بما حدث وهم لا يعلمون انه هو الفاعل لذلك فزجرهم وقال لهم انه
مالي فلا عليكم منه بقي اوذهب فعلموا انه فعله فثاروا به فاهانوه
وضربوه ثم طردوه فخرج من الدير علي الحالة المزرية التي دخل
عليها فلما حصل في ظاهر الدير سرّح طرفه فيما كان غرس وعمر فرأي
منظراً رايعاً فتنفس الصعدا تحسراً علي ذهاب شبابه وقوته وزينات
عمره فيما لم يجد عليه طايلاً ثم كانت عاقبته الي مزايلته والانسلال
منه علي حال اهانة وضعف فقال وبحق ما قالت الحكما
الدنيا سيل تعبر ولا تمر وقالوا الدنيا من خصّ عبره باعتبار افضي به الي
دمار وتبار وقالوا الدنيا قريب سلمها من سلمها وعطبها من حفظها
والعاقل من اهلها من استعد لختلها وليس له التاهب لبغتها المكتوم
وفراقها المحتوم والاستكثار منها نقيض ذلك وقالوا الخروج من الدنيا
مما لا تطيب له نفس ولكن قد تتهيا رياضة النفس عليه باستشعار
الزهد في الفاني العاجل والاستكثار من النعم النافعه في الاجل وقالوا
النعم في الدنيا لا تضاعف حسرة زوالها ولا يوكد عظمة اغتباطها
ثم ان الراهب السايح عاد الي سياحته فقل ما لبث ان هلك وقيل
فلما سمع الراعي مقالة الراهب وفهم المثل الذي ضرب له واستبصر
فيما تضمنه من الحكم قال جزيت خيراً من ناصح فخذ لي عندك موضعا

اجل

لاجل ان اسكنه فاتخذ له عند الراهب سكنا وترك البقر ولبث عند الراهب الي ان هلكا قيل فلما سمع ازدشير ما ضرب له ولده من الامثال علم انه زاهد في الملك لم تنتفع به حيلا فضلا عن غير ذلك فافهم يرحمك الله واسلك تلك المسالك تحظى من المولى بكل خير جزيل ورتبة سنية واجر جليل فلله الشكر والمنة على ما اولى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا مباركا امين والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من نساخة هذا الكتاب في اليوم
الثالث من العشر الاول من الشهر الرابع
من السنة الثامنة من العشر العاشر
من المائة الثانية من
الالف الثانية
من هجرة رسول
الله صلعم

يا الله

ص ١٣٠

ط ٢٣ ١/٢

ض ١٧

س ١٩

